المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
سلسلة أبحاث الحرمين العلمية (٦)

تعطير الأنام

بفضائل المسجد الحرام

١٤٣٥ هـ

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام
والمسجد النبوي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
سلسلةُ أبحاث الحَرمَيْن العلْمِيَّة (٦)

تعطير الأنام بفضائل المسجد الحرام

تأليف :
د . إكرام الله إمداد الحق عبد الرحمن

الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ

المُقدِّمَــــة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، حمداً يـوافي نعمـه ويكافئ مزيده ويضاهي كرمـه ، والـصلاة والـسلام عـلى أشرف النبيـين وخاتم المرسلين ، خير خلق الله أجمعين ، وعلى آله وصحابته الذين اقتفـوا منهجه وساروا على هديه القويم ، ومن تـبعهم بإحـسان وتأسـى بهـم في حفظ هذا الدين الكريم .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يصطفي ما يشاء من الناس والأزمان والأماكن ، فقد اختص الله عز وجل من بقاع الأرض كلها مكة المكرمة ، لتكون أحب البلاد إليه ، وتوافرت في مكة مـن الفـضائل والـشمائل مـا لم يتوافر في غيرها من البقاع ، واختار واصطفى - سبحانه وتعالى - الكعبة والمسجد الحرام من بين أماكن هذه المدينة المقدسة ، فإن الكعبـة المـشرفة هي أفضل بقعة وأطهر مكان على وجه الأرض ، وهي بيـت الله الحـرام ، والقبلة لجميع الأنام ، وهي أول بيت وضعه الله تعالى للناس ، وهي التـي يتجه إليها المسلمون في صلواتهم خمس مرات في اليوم والليلـة ، بـل أكثـر من ذلـك في نوافـل عبـاداتهم ، ويقـصدها ملايـين الحجـاج والمعتمـرين والزائرين من مشارق الأرض ومغاربها في كل عام ؛ لأداء المناسـك التـي افترضها الله عليهم ، فللكعبـة المعظمـة بيـت الله الحـرام مكانـة سـامية ،

ومنزلة عالية في نفوس جميع المسلمين في أنحاء المعمورة.

هو بيت كله محل عظيم القدر ، ومكان جليل الشأن والفخر ، بل هو أفضل البقاع وما عداه المفضول ، ويدل على ذلك المنقول والمعقول ، بيت جعله الله تعالى قواماً للناس في أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم ، في معاشهم ومعادهم ، فيما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم ، وتجارتهم وأنواع منافعهم ، وقعت هيبته في قلوبهم ، ومن عثا فيه عجل الله عقوبته ، قال بعضهم :

قد جاء قوم لهدم البيت واحتشدوا
فرد كيدهم طير أبابيل
رمتهم بحجار قد أتين بها
فأهلكتهم جميعاً وهي سجيل
مذمومهم ساق فيلاً فانتهى
فزعاً يا بؤس قوم غدا محمودهم فيل[1]

وقال آخر :

في البيت أنواع فضل لست أحصرها
فصاحب البيت أدرى بالذي فيه

---

(١) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لابن الضياء ١/١١١ ، ١١٤ .

من جـاءه خـائفـاً من سـوء زلـته

فـإن للبيـت ربـاً سـوف يحميه

أسباب اختيار الموضوع :

لما تم تفريغ وتخصيص يومين لي في الأسبوع من قِبَل صاحب المعالي الأستاذ الدكتور الشيخ : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ، الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي - حفظه الله تعالى ورعاه ووفقه إلى ما يحبه ويرضاه - وذلك للعمل في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، التابع للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي ، تلقيت من أمانة المركز التوجيهات اللازمة لاختيار موضوع متعلق بأحد الحرمين الشريفين.

وبعد البحث والنظر إلى كثير من أمهات الكتب في تاريخ مكة المكرمة وأخبارها ، رأيت ما لهذا البيت العتيق من فضائل وما لأهله وقاصديه من مزايا وخصائص ، تتشوق إليه كل مؤمن ، ووجدت أن كل ذلك جاء مفرَّقاً في بطون كتب ومجلدات عديدة ، بل لم أجد من تطرق إلى ذكر فضائله في بحث مفرد خاص بهذا الموضوع المهم البالغ الأهمية ، وإنما تناولوها في كتب عامة عن مكة البلد الأمين ومعظم أصحاب هذه الأسفار ينقلون النصوص بعضهم عن بعض كما هي ، من غير فحص وتنقيح ، وكثير منها واهية ، بل وموضوعة .

فأردت تجلية فضائل هذا البيت العتيق من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة والحسنة .

وبيان فضائل الأماكن الملتصقة بالكعبة المشرفة ، كالحجر الأسود والملتزم والحِجر والركن اليماني ، والباب والميزاب .

وإبراز فضائل الأماكن القريبة من الكعبة المعظمة داخل الحرم المكي الشريف ، كمقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وبئر زمزم ونحوها.

واستخرت الله تعالى واستعنت به سبحانه وتعالى ، واخترت هذا البحث وأسميته [تعطير الأنام بفضائل بيت الله الحرام]، والله سبحانه وتعالى الموفق والمعين ، وله – جل جلاله – الحمد والمنة أولاً وآخراً.

الكتب والدراسات السابقة لموضوع البحث :

سبق أن ذكرت أنني لم أجد كتاباً أُلّف مخصصاً في موضوع فضائل البيت الحرام ، وإنما ذَكر المؤلفون فضائله في كتب عامة عن تاريخ مكة وأخبارها ، وتوجد كتب ذات صلة قوية بهذا الموضوع وفيما يلي ذكر أهمها: -

١ - أخبار مكة وما فيها من الآثار ، للأزرقي نحو ٢٥٥ هـ.

٢ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي قبل ٢٧٩هـ.

٣- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ، لابن الجوزي ٥٩٧ هـ.

٤ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ٨٣٢هـ.

٥ - الجامع اللطيف في فضائل مكة والبيت الشريف لمحمد جار الله ابن ظهيرة ٩٨٦هـ.

٦ - منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم لعلي السنجاري ١١٢٥هـ .

هذه الكتب هي من المصادر المهمة لتاريخ مكة المكرمة ، ويعتبر بعضها موسوعة تاريخية لهذه البلدة المقدسة ، وبالتالي ليس هي محضة لبيان الفضائل وإنما فيها كل شيء عن هذه البلدة ، بالإضافة إلى ما فيها من القصص والقصائد الشعرية والاستطرادات الكثيرة.

٧ - تاريخ الكعبة المعظمة لحسين بن عبد الله با سلامة ١٣٥٩هـ.

تناول فيه المؤلِّف الكلام عن عمارة الكعبة وكسوتها وسدانتها ، ويشتمل على رسومات وصور متعددة.

٨ - إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام لعبد الله بن محمد الغازي ١٣٦٥هـ.

كتاب كبير ينطبق عليه ما قلته في المصادر السابقة.

٩ - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم للعلامة محمد طاهر

الكردي ١٤٠٠هـ .

الكتاب عبارة عن مجلدات ضخمة فيه أخبار كل شيء عن المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، والكتاب مثقل بالصور والرسومات القديمة والحديثة.

١٠- فضائل مكة وحرمة البيت الحرام ، للدكتور : عاتق بن غيث البلادي ١٤٣١هـ.

والكتاب كما هو واضح من اسمه مؤلف في فضائل مدينة مكة المكرمة عامة ، ويشتمل على ذكر أحاديث عن بيت الله الحرام ، ولم يعلق بشيء على النصوص المنقولة في الكتاب.

١١- فضائل مكة الواردة في السنة ، للدكتور : محمد عبد الله الغبان.

اشتمل الكتاب على أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة كثيرة وموضوعة ، إلا أن المؤلف قد بيَّن أحكام هذه الأحاديث ، وهو أقرب هذه الكتب إلى موضوعنا.

١٢ - الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به ، للدكتور: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

والكتاب دراسة تاريخية وميدانية لتحديد حدود وأعلام مكة المكرمة من جميع أطرافها وجهاتها ، ويشتمل على صور وإيضاحات مختلفة ، فهو بعيد عن موضوعنا.

خطـة البـحث :

اقتضت طبيعة البحـث أن يكـون في مقدمـة وتمهيـد وأربعـة فـصول وخاتمة وفهرسين على النحو التالي :

مقدمـة : في بيـان أهميـة الموضـوع ، وأسـباب اختيـاره ، والكتـب والدراسات السابقة ، وخطة البحث ومنهجه.

تمهيد : في وصف الكعبة المشرفة وذكر نبذة مختصرة عـن بنائهـا وعـن أسمائها.

الفصل الأول : فضائل الكعبة المشرفة ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : فضل الكعبة المشرفة وفـضل الطـواف بهـا والـصلاة فيها.

المبحث الثاني : فضل الحجر الأسود .

المبحث الثالث : فضل الركن اليماني والميزاب.

المبحث الرابع : فضل الحِجر والملتزم.

المبحث الخامس : باب الكعبة ومفتاحه وكسوة الكعبة.

الفصل الثاني : فضائل المسجد الحرام ، وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيد : في التعريف بالمسجد الحرام وموقعه.

المبحث الأول : المسجد الحرام في القرآن الكريم.

منهج البحث :

كان جل اعتمادي على ما ورد في الموضوع من آيات الله تعالى الكريمة وكتب التفسير المعتمدة ، وعلى ما ورد في الصحيحين من أحاديث في الموضوع ، وعلى الأحاديث والآثار الصحيحة والحسنة في غيرهما ، مع بيان الحكم عليها بالصحة أو الحسن من أهل هذا الشأن المعتمدين ، الذين يعول على مثلهم في هذه الأحكام ، وقد أستأنس بأقوال غيرهم من المحققين للكتب من العلماء ، كما أنني أقتبس من كتب شروح الحديث المتداولة المعروفة ، ومن الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً المتعلقة ببيت الله الحرام ، وما فيه وحوله من الأماكن المقدسة المباركة.

هذا وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التالي :

١ - عزوت الآيات القرآنية إلى القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية ، بعد النص مباشرة بين معكوفتين.

٢ - كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني الموافق للمصحف الشريف.

٣ - خرجت الأحاديث النبوية بعزوها إلى مواضعها من كتب السنة بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وُجد ، وراعيت في ترتيب كتب السنة تقديم الأمهات الست على بقية الكتب.

٤ - عزوت جميع أقوال العلماء فيما يتعلق بالبحث إلى أصحابها ، والاقتباسات إلى أماكنها من المصادر المختلفة ؛ لما في ذلك من البركة والأمانة العلمية ، وأذكر اسم المؤلف إذا ورد المصدر أول مرة ، وقد وضعت الاقتباسات بين قوسين صغيرين « » ، والأرقام بين قوسين كبيرين.

٥ - ترجمت لغير المشهورين من الأعلام الواردين في البحث بإيجاز.

٦ -فسرت الكلمات التي رأيتها غريبة.

٧ - ضبطت الكلمات التي قد يشكل على القارئ ضبطها.

٨ - عرَّفت البلدان والأماكن الواردة في البحث بتعريف موجز إن وجدت.

٩ - رتبت المصادر والمراجع تريباً هجائياً باسم الكتاب معتمداً في ذلك الحرف الأول من اسم الكتاب ، وأغفلت أداة التعريف (أل) والأب والابن من الترتيب.

١٠ - وضعت فهرساً للمصادر الواردة في البحث وأغلبها من المكتبة الشاملة ، ولم أستخدم الرموز إلا حرف (ط) للطبعة ، كما أنني وضعت فهرساً آخر للموضوعات.

وفي الختام يطيب لي أن أزجي شكري وتقديري ، وخالص دعواتي لصاحب المعالي الشيخ الموفق الملهَم -إن شاء الله- الأستاذ الدكتور :

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ، الرئيس العام للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي ، ولأصحاب الفضيلة المشايخ الكرام الذين استفدت منهم في هذا الجهد ، ولكل من بذل لي النصح والإفادة ، والرعاية والعناية ، ولجميع القائمين على هذا المركز الموقر ، والله تعالى أسأل أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء ، كما أسأله تعالى لي ولهم ولجميع المسلمين التوفيق والسداد والهداية والرشاد ، إنه الجواد الكريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

الدكتور : إكرام الله إمداد الحق

مكة المكرمة حرسها الله

يوم الأحد ١٤٣٤/٨/٢٨هـ

تمهيـــد :
في وصف الكعبة المشرفة
وذكر نبذة مختصرة عن بنائها وعن أسمـائها

أولاً : معنى الكعبة ووصفها وسبب تسميتها :

معنى الكعبة :

الكعب هو العظم الناشز في جانب القدم عند ملتقى الساق والقدم فيكون لكل قدم كعبان عن يمنتها ويسرتها ، قال ابن سيدة[١] : الكعب كل مفصل للعظام وكعب الإنسان العظم الناشز فوق قدمه ، وقيل : الكعبان من الإنسان العظمان الناشزان من جانبي القدم ومن الفرس ما بين الوظيفين والساقين ، وقيل : ما بين عظم الوظيف وعظم الساق ، وهو الناتئ من خلفه ، والجمع أكعب وكعوب وكعاب ، ورجل عالي الكعب يوصف بالشرف والظفر ، وقال اللحياني[٢] : الكعب والكعبة

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيدة المرسي الضرير ، إمام اللغة والعربية ، صاحب كتاب المحكم ، وأحد من يضرب بذكائه المثل ، توفي سنة ٤٥٨ هـ . سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/١٤٤ رقم ٧٨ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٣/٣٢٠ رقم ٤٤٩ .

(٢) هو علي بن حازم اللحياني ، لغوي مذكور له كتاب النوادر ، قال فيه الفراء : هذا أحفظ

الذي يلعب به وجمع الكعب كعاب ، وجمع الكعبة كعب وكعبات لم يحك ذلك غيره كقولك جمرة وجمرات[١]. ويقال إن الكَعبة : الغُرفة[٢].

وصف الكعبة :

الكعبة بناء مكعب مجوف من الداخل ، قائم في وسط المسجد الحرام بمكة المكرمة ، والكعبة مبنية من الحجارة الصماء ذات الحجم الكبير ، وفي داخلها أعمدة ثلاث من خشب العود الجيد ، قطر الواحد منها (٠.٢٥) ربع متر ، مقامة صفاً واحداً ، في وسط البيت من الشمال إلى الجنوب ، وعلى يمين الداخل إلى الكعبة في زاوية الركن الشمالي الشرقي باب يصعد منه على مدرج إلى أعلى الكعبة .

تفاوت المؤرخون في ذكر أبعاد الكعبة ، وهو اختلاف طبيعي ناشئ من اختلاف الأذرع ، وما بين ذراع اليد وذراع الحديد من فرق ، وهما يتفاوتان ، فقد جاء في كتاب تاريخ الكعبة المعظمة للمؤرخ حسين

=

الناس للنادر ، توفي سنة ٢٥٥هـ . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز أبادي ١/٤٣ رقم ٣٢١ .

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة ١/٢٨٥ ، وانظر النهاية في غريب الحديث الأثر لابن الأثير ٤/٣٣٠ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ٨/١١٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٨٠ .

باسلامة[١] قال : أن ذراع اليد يتراوح ما بين(٤٦-٥٠) سم ، وذراع الحديد (٥٦ . ٥) سم ، بينما ذكر أخيراً أن ذراع اليد (٤٨) سم ، وعلى هذا فإن الحديث عن أبعاد الكعبة بمقياس الأذرع في العصر الحاضر لا يعطي دقة في التعرف على هذه الأبعاد ، بل يؤدي إلى حيرة ، وذلك لأن المتر وأجزاءه هو لغة القياس المفهوم في العصر الحاضر.

وقد ذرعت الكعبة بذراع العصر الحديث عند القيام بالتوسعة السعودية الأولى ، فكان مساحتها عند قاعدتها (١٤٥م) ، ويبلغ مساحة الحطيم بما فيها الجدار بالحطيم (١٢م) ، وآخر ذرع للكعبة قام به مركز أبحاث الحج في جامعة أم القرى ، وكان كالتالي : من الركن الأسود إلى الركن الشامي (١١.٦٨م) ، وفيه باب الكعبة . ومن الركن اليماني إلى الركن الغربي (١٢.٠٤م) ، ومن ركن الحجر الأسود إلى الركن اليماني (١٠.١٨ م) ، ومن الركن الشامي إلى الركن الغربي (٩.٩٠م).

وأما أذرع الكعبة من داخلها ، فقد قام باسلامة بذرعها بنفسه سنة

(١) هو حسين بن عبد الله بن محمد باسلامة الحضرمي المكي ، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٩٩هـ ، ودرس مبادئ مختلف العلوم من علماء مكة ، ثم تزود منهم العلوم والمعارف النافعة ، ورحل إلى الطائف ثم إلى مصر وسوريا ، فتخصص في علم التاريخ ، وعمل مدرساً وتقلد بعض الوظائف الحكومية ، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٥٩هـ . مقدمة المعلق على كتابه تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٥- ٢٠ .

(١٣٥٢هـ) فقال : فكان طولها من وسط الجدار اليماني إلى وسط الجدار الشامي (١٠.١٥م) ، ومن وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها الغربي (١٠.٢٨م)[١].

يبلغ ارتفاع الكعبة (١٥) متراً وطول ضلعها الشمالي (٩.٩٢)أمتار ، والجنوبي (١٠.٢٥) أمتار ، والشرقي (١١.٨٨) متراً ، والغربي (١٢.١٥) متراً.

وبابها في الضلع الشرقي وارتفاعه متران ، ويعلو عن الأرض نحو مترين يصعد إليه بدرج من الخشب مصفح بالفضة متنقل على عجل في أسفل قوامه.

وفي الركن الجنوبي الشرقي في الكعبة من الخارج الحجر الأسود ، الذي هو مبدأ الطواف للطائفين[٢].

وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية البديعة ، ومعلق به تحف فنية من الجواهر الثمينة والنفائس الغالية ، وسطحها مرصوف بألواح من الرخام المرمر وفي الجهات الأربع حلق لربط الكسوة من الخارج حتى

---

(١) تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها ص ١٧١، ١٧٢ ، وانظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (الكعبة المشرفة) .

(٢) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم للكردي٤/١ وما بعدها ، وانظر المحمل والحج ليوسف أحمد ٧٩/١ ، ٨٠ .

تنسدل عليها بانتظام .

وفي الشاذ روان حلقات من نحاس أصفر لربط الكسوة من أسفل .

والشاذروان : بناء مائل من الرخام يلاصق جدار الكعبة من أسفل ، من جوانبها الثلاثة ، وأما الشاذروان من جهة الحِجر فمبسط كدرجة واحدة مسطحة وليس مائلاً ، ومثبت فيه (٤١) حلقة يربط فيها حبال ثوب الكعبة المشرفة ، ولا يوجد أسفل جدار باب الكعبة المشرفة شاذروان ، وأقيم الشاذروان تقوية لجدران الكعبة المشرفة التي كانت بحاجة إلى هذه التقوية ؛ لتعرضها للسيول الكثيرة ، وعليه فإن الشاذروان ليس من البيت ، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال : «ولو وضع يده على الشاذروان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك في أصح قولي العلماء ، وليس الشاذروان من البيت بل جعل عماداً للبيت»[١]. ويختلف ارتفاعه وعرضه ، فارتفاعه ما بين (٢٢) إلى (٥٠) سنتمتراً ، وعرضه ما بين (٣٩) إلى (٨٧) سنتمتراً وهو أشبه برصيف عال حول الكعبة[٢].

كان آخر تجديد للشاذروان في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، أثناء الترميم الثاني والكبير للكعبة

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢١/٢٦ .

(٢) انظر المحمل والحج ٨٢/١ ، وانظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٤٦٨/٤ .

المشرفة في العام (١٤١٧هـ) ، حيث جدد رخام الشاذروان القديم برخام جديد يحاكي ألوان ونوعية الرخام القديم ، مع المحافظة على الرخامات القديمة الموجودة تحت ناحية باب الكعبة ، وهي رخامات جميلة ونفيسة ومحافظة على جودتها ومتانتها .

ويقول الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله عن جوف الكعبة : «قوله في رواية مالك : وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل ؛ لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين ، ولهذا عقبه البخاري برواية إسماعيل التي قال فيها : عمودين عن يمينه ، ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك ، وأن فيه إشعاراً بأنه تغير عن هيئته الأولى ، وقال الكرماني[1] : لفظ العمود جنس يحتمل الواحد والاثنين فهو مجمل بينته رواية [وعمودين] ، ويحتمل أن يقال لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد ، بل اثنان على سمت والثالث على غير سمتها ، ولفظ المقدمين في الحديث السابق مشعر به والله أعلم ، قلت : ويؤيده أيضاً رواية مجاهد عن ابن عمر ، فإن فيها

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي ، وكان مقبلاً على شأنه لا يتردد إلى أبناء الدنيا ، قانعاً باليسير ملازماً للعلم متواضعاً ، توفي سنة ٧٨٦هـ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ٢/٢٨٣ .

بين الساريتين اللتين على يسار الداخل ، وهو صريح في أنه كان هناك عمودان على اليسار ، وأنه صلى بينهما فيحتمل أنه كان ثَم عمود آخر عن اليمين لكنه بعيد أو على غير سمت العمودين ، فيصح قول من قال : جعل عن يمينه عمودين ، وجوَّز الكرماني احتمالاً آخر ، وهو أن يكون هناك ثلاثة أعمدة مصطفة فصلى إلى جنب الأوسط ، فمن قال : جعل عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره لم يعتبر الذي صلى إلى جنبه ، ومن قال : عمودين اعتبره ، ثم وجدته مسبوقا بهذا الاحتمال ، والله أعلم»(١).

ما تقدم هو وصف لداخل الكعبة سابقاً ، وأما الوصف الحديث لداخلها فهو كالتالي :

في الركن الشامي على يمين الداخل إلى الكعبة المشرفة يوجد بناء الدرج المؤدي إلى السطح ، وهو عبارة عن بناء مستطيل شكله كالغرفة المسدودة بدون نوافذ ، ضلعاها الشرقي والشمالي من أصل جدار الكعبة المشرفة ، وتحجب في داخلها الدرج ، ولها باب عليه قفل خاص ، وعليه ستارة حريرية جميلة مكتوب عليها ومنقوشة بالذهب والفضة.

وعرض الجدار الجنوبي للدرج والذي فيه بابها (٢٢٥) سم ، وعرض الجدار الغربي (١٥٠) سم ، وإذا صعد الإنسان من الدرج إلى السطح

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٥٧٩/١ رقم ٤٨٣ .

فقبل وصوله إلى السطح بنحو قامة يرى أمامه باباً صغيراً وعن يساره باباً مثله ، وكلاهما يدخل إلى ما بين سقفي الكعبة المشرفة ، ومسافة ما بين السقفين (١٢٠) سم ، وينتهي الدرج عند السطح بمنور مغطى بغطاء محكم منعاً لدخول المطر ، ويرفع الغطاء عند الصعود إلى السطح.

وفي داخل الكعبة أعمدة خشبية ثلاثة تحمل سقف الكعبة المشرفة ، وهي من أقوى أنواع الأخشاب التي لا يعرف مثلها ، وهي من وضع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، أي أن عمرها أكثر من (١٣٥٠) عامًا ، وهي بنية اللون تميل إلى السواد قليلاً ، ومحيط كل عمود منها (١٥٠) سم تقريباً ، وبقطر (٤٤) سم ، ولكل منها قاعدة مربعة خشبية منقوشة بالحفر على الخشب ، ويوجد بين الأعمدة الثلاثة مداد معلق فيه بعض هدايا الكعبة المشرفة ، ويمتد على الأعمدة الثلاثة حامل يمتد طرفاه إلى داخل الجدارين الشمالي والجنوبي.

وهذه الأعمدة الثلاثة مرتفعة إلى السقف الأول الذي يلي الكعبة المشرفة ولا تنفذ من هذا السقف إلى السقف الأعلى الذي يلي السماء ، ولكن جعلت عدة أخشاب بعضها فوق بعض على رؤوس هذه الأعمدة الثلاثة من داخل السقفين إلى أن تصل إلى السقف الأعلى ، فتكون هذه الأعمدة الثلاثة بهذه الصفة حاملة للسقفين المذكورين . ويوجد في كل عمود ثلاثة أطواق للتقوية.

أما أرض الكعبة المشرفة فهي مفروشة بالرخام وأغلبه من النوع الأبيض والباقي ملون.

وجدار الكعبة المشرفة من داخلها مؤزر برخام ملون ومزركش بنقوش لطيفة ، وتغطى الكعبة المشرفة من الداخل بستارة من الحرير الأحمر الوردي مكتوب عليها بالنسيج الأبيض الشهادتان وبعض أسماء الله الحسنى على شكل (٨) ثمانية أو (٧) سبعة متكررة ، وكسي بهذه الستارة سقف الكعبة المشرفة أيضاً[١].

سبب تسميتها بالكعبة :

سميت بالكعبة لتكعيبها وهو تدويرها ، قال ابن سيدة : «والكعبة البيت الحرام منه لتكعيبها أي تربيعها ، وقالوا : كعبة البيت بالإضافة ؛ لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه ، والكعبة الغرفة أراه لتربعها أيضاً ، وثوب مكعب مطوي مربعاً ، وقيل مطوي شديد الإدراج في تربيع» . وقال ابن الأثير[٢] : «وكل شيء علا وارتفع فهو كعب . ومنه سمّيت

---

(١) انظر تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٧٧،١٧٨ ، تاريخ الكعبة المشرفة ص ٢٠١ ، وانظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (الكعبة المشرفة)

(٢) هو أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المعروف بابن الأثير الجزري ، كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، توفي سنة ٦٣٠ هـ . وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان ٣٤٨/٣ =

الكَعْبة للبيت الحرام . وقيل : سُمِّيت به لتكعيبها أي تربِيعها» وقال الإمام محيي الدين أبو زكريا يحي ابن شرف النووي في وجه تسميتها : «وأما الكعبة فسميت كعبة لارتفاعها وتربعها ، وكل بيت مربع عند العرب فهو كعبة ، وقيل سميت كعبة لاستدارتها وعلوها ، ومنه كعب الرجل ، ومنه كعب ثدى المرأة : إذا علا واستدار»(١).

ثانياً : نبذة موجزة عن بناء الكعبة :

ذكر أصحاب كتب تاريخ مكة وأخبارها أقوالاً عدة فيمن بنى البيت الحرام أول مرة على مر العصور ، وأشهر هذه الأقوال : الملائكة ، ثم آدم عليه السلام ثم إبراهيم عليه السلام ، ثم قريش ، ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

أما بناء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام للبيت فمجمع عليه ، ثابت بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

=

رقم ٤٦٠ .

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٢/٢٣٣ .

وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[البقرة : ١٢٧-١٢٩] ، وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حديثاً طويلاً في رحلة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام وأمه إلى مكة ، وكانت أرضاً قاحلة نادرة المياه ، وفي هذا الحديث : «ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، وفي رواية قال إبراهيم عليه السلام : يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً ، قال : أطع ربك ، قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه ، قال : إذن أفعل ، قال : فقاما فجعل إبراهيم يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، قال : حتى ارتفع البناء ، وضعف الشيخ عن نقل الحجارة ، فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة»(١) .

(١) صحيح البخاري ١/١٦١٨ رقم ٣٣٦٤ .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد ما ذكر أن القول بأن الملائكة هم أول من بنَوه، والقول بأن آدم هو أول من بناه - : «فيهما غرابة، ثم قال: وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين»(١).

وقد يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان هو أول من بنى الكعبة المشرفة قول الله تعالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾[الحج: ٢٦]، قال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكر قصة بناء الكعبة: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء»(٢).

ويبدو أن بناء الكعبة الغراء كان برضم(٣) الحجارة بعضها فوق

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٢١، وانظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ١/ ١٩٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٨٨.

(٣) الرضم: وجمعه رِضام وهو صخر عظام يقع بعضه على بعض. ويقال: بنى فلان بيتَه فرَضَمَ الحجارة رَضْماً، إذا بنى بعضها على بعض. جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٤١١.

بعض ، من غير طين ولا جص وليس له سقف ولا باب من خشب أو غيره ، فكان فتحة في جدارها الشرقي للدلالة على وجه البيت ، يقول محمد طاهر الكردي[١] في علة ذلك : لأن ذلك العصر القديم لم يكن فيه شيء من وسائل البناء وأسباب الحضارة ، فمن أين يأتي بالأدوات الحديدية ، والآلات المختلفة لحفر الأرض وخلط الطين ونشر الخشب ودق المسامير؟ فلا لزوم لعمل سقف لها ولا لعمل باب يغلق عليها ، كما لا لزوم لعمل مدخلين فيها للدخول والخروج لقلة السكان بمكة[٢].

وأما بناء قريش فقد اجتمعت لتجديد بنائها لما أصابها من تصدع جدرانها ، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم عليه السلام رضماً فوق القامة ، فهو ثابت بالحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه ، حيث يروي الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة فقال: «لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال

---

(١) هو الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي من بيت علم وفضل ، ولد عام ١٣٢١ هـ بمكة المكرمة ، وتخرج من مدرسة الفلاح ثم من الأزهر ، وكان خطاطاً مشهوراً كتب بيده مصحف مكة المكرمة ، تقلد عدة وظائف وتوفي عام ١٤٠٠هـ . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٥ /٨ - ١٣ ، أعلام الحجاز لمحمد علي مغربي ٢/ ٣١٥ .

(٢) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/ ٤٨ .

العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على رقبتك ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال : أرني إزاري فشده عليه»[١] ، وتذكر عائشة رضي الله عنها عن بناء قريش للكعبة أنهم لم يتمكنوا من بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام ، فقالت : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت : يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال : «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت» ، فقال عبد الله رضي الله عنه : « لئن كانت عائشة رضي الله عنها سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم»[٢].

يقول ابن هشام عما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة : «والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي

---

(١) صحيح البخاري ١/٧٢٧ رقم ١٥٨٢ ، صحيح مسلم ١/٢٦٧ رقم ٣٤٠/٧٦ ، وانظر شفاء الغرام ١/١٩٨ وما بعدها .

(٢) صحيح البخاري ١/٧٢٨ رقم ١٥٨٣ ، صحيح مسلم ٢/٩٦٨ رقم ١٣٣٣/٣٩٨ .

تدنس الرجال ، تنزهاً وتكرماً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة»(١).

وأما بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فقد ذكره المفسرون والمؤرخون ، وسببه أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عند ما حوصر من قبل جيش عبد الملك بن مروان في أوائل سنة (٦٤هـ) لمعاندته يزيد بن معاوية ، تحصن بالكعبة ، وقد نصبوا المنجنيق حول الكعبة لضربها بالأحجار ، فأصاب الكعبة فوهنت ، ثم حصل حريق عظيم في الخيام المنصوبة حول الكعبة فأثر فيها ، وعن عطاء بن أبي رباح قال : «لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجرئهم على أهل الشام ، فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس أشيروا عليَّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما هو منها؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها أرى أن تصلح ما وهي منها وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً أسلم الناس عليها ، وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدده فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري ، فلما مضى الثلاث أجمع

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٢٣ .

رأيه على أن ينقضها ، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوه فنقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه وقال : إني سمعت عائشة تقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحِجر خمسة أذرع ، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه» قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس قال : فزاد فيه خمس أذرع من الحِجر حتى أبدى أساً نظر الناس إليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعاً ، فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشر أذرع ، وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه ، فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاد في طوله فأقره ، وأما ما زاد فيه من الحِجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعاده إلى بنائه»[1] . وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما هو أول من

(١) صحيح مسلم ٩٦٨/٢ رقم ١٣٣٣/٤٠٢ ، وانظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢٠١/١ ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة للجزيري

بلط المطاف[١].

وأما بناء الحجاج بن يوسف الثقفي فإطلاق البناء عليه فيه تجوز، والظاهر -والله أعلم- أنه ليس بناء مستقلاً بل هو ترميمات وإصلاحات، وذلك بإذن من عبد الملك بن مروان، وروي أن عبد الملك ندم بعد ذلك على إذنه للحجاج، ولعل مراد الذين قيل عنهم أنهم بنوا الكعبة أي هم من جملة من تعرضوا لبناء الكعبة مطلقاً وليس بناءاً كاملاً، كالإصلاح والترميم والتجديد ونحو ذلك، وأما من ذكرنا عنهم أنهم بنوها، فذلك بناء كامل.

وآخر من زاد في الكعبة أمير المؤمنين المهدي العباسي سنة أربع وستين ومائة، فهو على ذاك الآن[٢].

وما كان من السلطان مراد الرابع العثماني فهو تجديد لبناء الكعبة، بعد سقوط الجدار الشامي، وشيء من الجدار الشرقي إثر مطر غزير وسيل عظيم سنة ١٠٤٠هـ[٣].

=

١/٨٨، ٨٩.

(١) الدرر الفرائد المنظمة ١/١٠٣.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار ١/٩٣.

(٣) انظر عن هذا البناء: إفادة الأنام بذكر أخبار بيت الله الحرام لعبد الله الغازي ١/٣١٨، ومنائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم للسنجاري ٤/٦٤ وما بعدها، التاريخ =

ولم تحتج الكعبة بعد ذلك إلى إعادة بناء ، وإنما هي ترميمات وإصلاحات في أوقات مختلفة ، يقول تقي الدين الفاسي[١] : «اعلم أنه لم يغير أحد من الخلفاء والملوك فيما مضى من الزمان وإلى الآن ما بناه ابن الزبير والحجاج فيما علمناه ، ولو وقع لنقل ؛ فإن ذلك لا يخفى لعظم أمره»[٢].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله لوحظ بعض التلف في بعض أجزاء الكعبة المشرفة المصنوعة من الخشب ، وكان السقف أكثر تعرضًا للتلف من غيره ، وكذلك الأعمدة الخشبية ، فخاف على الكعبة من هذا الضعف والتآكل ، فأمر رحمه الله بترميم الكعبة المشرفة ترميماً كاملاً شاملاً من داخلها وخارجها على أحسن وجه ، وبدئ العمل في شهر محرم عام (١٤١٧هـ) وانتهي منه في نفس السنة في شهر جمادى الثاني ، فآلت إلى أحسن حال بعد ترميمها ، والحمد

=

القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/٢٠٣ وما بعدها

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المكي شيخ الحرم ، كان إماماً علامة فقيهاً حافظاً للأسماء والكنى ذا معرفة تامة بالشيوخ والبلدان ، مفيد الحجاز وعالمها . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٣/٣٦٠ ، ٣٦١ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني ٢/١٠٨ .

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٢٠٦ .

لله رب العالمين[١].

وهذا البيت الذي أقام قواعده إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، هو أول بيت بُني على وجه الأرض لعبادة الله تعالى، وكانت البيوت قبل ذلك موجودة ولكن ليست للعبادة ولكن لوجود الأمم قبل بناء البيت الحرام، ولا بد لها من بيوت تسكنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٦]، وروى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فَصَلِّه؛ فإن الفضل فيه»[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم وعن طريقه ابن كثير رحمهما الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية الكريمة قال: «كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله تعالى»[٣]، وفي رواية: «ولكنه أول بيت فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً»[٤].

---

(١) انظر مزيداً عن الترميم الأخير في تاريخ الكعبة المشرفة للطريقي ص ١١٦ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ١/١٦٢٢ رقم ٣٣٦٦، صحيح مسلم ١/٣٧٠ رقم ١/٥٢٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٠٧، تفسير القرآن العظيم ٢/٧٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/٧٨.

يقول محمد طاهر الكردي : «الذي نفهمه من هذه الآية الكريمة ، هو أن الله عز شأنه جعل بيته الشريف أول بيت بني لعبادته جل جلاله بكيفية مخصوصة ، وهو الطواف حوله واستلام الركن الأسود ، والوقوف عند الملتزم بذلة وخضوع وانكسار وخشوع ، واستقباله والتوجه إليه في الصلاة حال القرب والبعد ، إلى غير ذلك مما اختصه الله تعالى من المزايا والأسرار»(١).

ثالثاً : أسماء الكعبة المشرفة :

وللكعبة المعظمة أسماء متعددة مما يدل على فضلها وأهميتها ، لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وأشهر هذه الأسماء ما يلي :

١ - **الكعبة** : قال الله تعالى : ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[المائدة : ٩٥] ، وقال سبحانه : ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[المائدة : ٩٧].

٢ - **البيت العتيق** : قال الله تعالى : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج : ٢٩] ، وقال سبحانه : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج:٣٣] ، سميت به لأنه أول بيت وضع بالأرض أو أعتق من الغرق أو من الجبابرة أو من الحبشة ، أو لأنه حر لم يملكه أحد ، ولم يدعيه

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٢/ ١١٤ .

أحد ، فهو بيت الله تعالى[١].

٣ - **البيت الحرام** : قال تعالى : ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[المائدة:٢] ، وقال سبحانه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[المائدة:٩٧].

٤ - **البيت المحرَّم** : قال تعالى : ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[إبراهيم:٣٧].

٥ - **البيت** : ورد معرفاً بـ (أل) ، قال عز من قائل : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة: ١٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقرة:١٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨] وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[الأنفال: ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[الحج: ٢٦] ، وقال جل جلاله : ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾[قريش:٣] ، وورد مضافاً إليه تعالى فقال سبحانه : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥] ، وقال : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج:٢٦] وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) المحيط في اللغة للصاحب ابن عباد ١/١٥٥ ، القاموس المحيط للفيروز أبادي ١/١١٧٠ ، وانظر معجم مقاييس اللغة ٤/٢٢٠ .

زمزم فشرب قائماً استسقى وهو عند البيت»[١] ، والمراد بالبيت في الآيات والحديث الكعبة ، وبيت الله تعالى خص بنسبته إلى الله تعالى لتشريفه ، وإن كانت البيوت كلها لله تعالى ، وله نظائر في قصر ما كان شائعاً في جنسه على أحد أنواعه[٢].

٦ - القبلة قال الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[البقرة: ١٤٣] ، وقال سبحانه : ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[البقرة: ١٤٤] ، وقال : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[البقرة: ١٤٥]. وسميت بالقبلة لأنها تستقبل في كل الصلوات فهي قبلة المسلمين[٣].

* ومما يُذكر في هذا المجال ، وهو دليل على فضل الكعبة المشرفة ، أن المسجد الحرام قد يُنسب إلى الكعبة ، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به في ليلة الإسراء مِنْ مَسْجد الكعبة[٤] . وعن

(١) صحيح مسلم ٣/١٦٠١ رقم ٢٠٢٧/١٢٠ .
(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٤/٢٠ .
(٣) المخصص لابن سيدة ١/٥٠٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١/٢٨٥ ، وانظر النهاية في غريب الحديث الأثر ٤/٣٣٠ .
(٤) صحيح البخاري ١/١٧٢٤ رقم ٣٥٧٠ ، صحيح مسلم ١/١٤٥ رقم ١٦٢/٢٦٢ .

ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة اشتكت شكوى وقالت : لئن شفاني الله لأخرجن ولأصلين في بيت المقدس ، فبرئت ثم تجهزت ، فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها ذلك ، فقالت : اجلسي فكلي ما صنعت وصلي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فإني سمعت رسول الله يقول: «صلاة فيه – أي في مسجد النبي ﷺ - أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة»(١) .

* ومما يذكر عن الكعبة المشرفة أن الصحابي الجليل حكيم بن حزام رضي الله عنه ولد في جوف الكعبة ؛ وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش فأخذها المخاض ، فأتيت بنطع فولدت مكانها ، قال بعض العلماء : ولا يعرف أحد شاركه في هذا ، والله أعلم(٢) .

* ومن المعلوم أن الكعبة المكرمة بحيال البيت المعمور في السماء السابعة ، وسميت مكة أم القرى ؛لأن الأرض دحيت من تحتها(٣) ، ولقد ثبت لدى العلماء المسلمين من الجغرافيين والفلكيين

(١) صحيح مسلم ٢/١٠١٤ رقم ١٣٩٦ ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم ٤/٥٧ رقم ٣٢٢٢ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢/١٤٢ ، وانظر منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم للسنجاري ١/٤٥٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤٣٤.

كالصفاقسي (ت٩٥٨هـ) ، والدكتور : حسين كمال الدين (ت١٤٠٧ هـ) أن المساقط لأقطار دائرة الكرة الأرضية تلتقي في موقع البيت الحرام ، وتعتبر الكعبة مركز العالم ومركز القرى الأرضية[١] ، والله علم.

(١) انظر ص ٢٦ ، ٢٧ فيما يأتي من هذا البحث ، وانظر هاني فيروزي ، مجلة معاد (مكة) ، العدد الأول ، شعبان ١٤٢٦هـ .

الفصل الأول : فضائل الكعبة المشرفة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : فضل الكعبة المشرفة وفضل الطواف بها والصلاة فيها .

المبحث الثاني : فضل الحجر الأسود .

المبحث الثالث : فضل الركن اليماني .

المبحث الرابع : فضل الحِجر والملتزم .

المبحث الخامس : باب الكعبة ومفتاحها وكسوة الكعبة .

المبحث الأول :
فضل الكعبة المشرفة
وفضل الطواف بها والصلاة فيها

أولاً : فضل الكعبة :

الكعبة بيت الله الحرام فضائلها عظيمة ، ومكانتها جليلة وشرفها ومنزلتها خفاقة عالية ، لا يمكن للبشر حصر أسرارها ولا استقصاء أنوارها في صحيفة أو بحث ، وإنما هي محاولات لكشف ما ورد في الموضوع من نصوص وآثار ، فهي أول بيت وضع للناس على وجه البسيطة ، ويتوجه إليها المسلمون في صلواتهم خمس مرات في اليوم والليلة ، وهي مأوى أفئدة المؤمنين ، يقصدونها لأداء مناسك الحج والعمرة من أصقاع المعمورة ، وبجنباتها أماكن مباركة مشهودة ، وبالإضافة إلى ما تقدم من ذكر أسماء الكعبة التي وردت في كتاب الله عز وجل ، كان هذا البيت هو الملجأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة عند ما كان يلاقي أنواع الإيذاء وأصناف التعذيب من صناديد قريش فكان - بأبي هو وأمي - يستقبل الكعبة في المسجد الحرام ويدعو عليهم ، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش على

شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل بن هشام فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً[(١)] ، وكان عليه السلام يقصد الكعبة بيت الله الحرام ويستأنس بمجاورتها ، ففي الصحيح عن خباب بن الأرت قال : «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة»[(٢)] ، ومما يدل على فضل الكعبة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، حيث قال يوم فتح الله له مكة المكرمة : «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة»[(٣)] ، ومن فضائلها بعث النبي صلى الله عليه وسلم الهدي إلى الكعبة تعظيماً لها فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : «لقد كنت أفتل قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبعث هديه إلى الكعبة فما يحرم عليه مما حل للرجال من أهله حتى يرجع الناس»[(٤)] ، ومن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة أنه كان يحلف برب الكعبة فعن أبي ذر قال : «انتهيت إليه وهو يقول في ظل الكعبة : هم الأخسرون ورب الكعبة ، هم الأخسرون ورب الكعبة قلت : ما شأني أيرى فيَّ شيء ما شأني؟ فجلست إليه وهو

(١) صحيح البخاري ١/١٩٣٨ رقم ٣٩٦٠ .
(٢) صحيح البخاري ١/١٧٤٨ رقم ٣٦١٢ .
(٣) صحيح البخاري ١/٢١١١ رقم ٤٢٨٠ .
(٤) صحيح البخاري ١/٢٨٦٣ رقم ٥٥٦٦ .

يقول : فما استطعت أن أسكت وتغشاني ما شاء الله ، فقلت : من هم بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال : الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا»[١].

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : «سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة والشام لأنها عن يسار الكعبة»[٢] ، فوجه تسمية اليمن والشام البلدين المعروفين قديماً نسبة إلى جهة الكعبة يدل على شرفها وعلو منزلتها ، ولم يزل هذا البيت على حالة التعظيم والتبجيل والتكريم ، قد شرفه الله تعالى وعظمه ، في عصر كل أمة ، وجعله مغناطيس القلوب ، وموئلاً لكفارات الذنوب ، وملجأً للخاطئ الأثيم ، ومحط رحال المذنبين ، ووقاية لهم من عذاب الجحيم ، وما عسى يبلغ مدح المادح وجهد الواصف من كنه الثناء على بيت عظمته الملائكة ، وطافت به الجن ثم الإنس ، ثم الأمم على اختلاف مذاهبها وتباين عقائدها ، ومن خصائصه الواضحة ، ومناقبه الراجحة ، أن لو لم يكن هذا البيت إلا أنه بلد لقاح ، لم يملكه أحد على وجه الأرض ، ولم تطل عليه يد ، ولم يزل مضافاً إليه تعالى ، فيقال : بيت الله وحرم الله وكعبة الله ، ويدعى سكانه جيرة الله وأهله أهل الله لكان ناهيك به فضلاً ، وحسبك به فخراً ونبلاً :

---

(١) صحيح البخاري ١/٣٣١٩ رقم ٦٦٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ١/١٦٩٧ رقم ٣٤٩٩ .

لله بيت علا في الأرض منزلة
يكاد يحسده من أجلها الأفق
قد أودعت فيه أسرار الهوى فلذا
تراه يلثم أركاناً ويعتنق[١]

ومما يذكر عن تأثر الصالحين برؤية هذا البيت العتيق وانزعاج قلوبهم، وخاصة عند أول لقاء، ما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: «أن امرأة عابدة حجت، فجعلت تقول: أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فقيل لها: الآن ترينه، فلما لاح البيت قالوا: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه، فألصقت جبينها بحائط البيت، فما رفعت إلا ميتة. قال محقق الكتاب: أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح»[٢].

ومن فضائل الكعبة أن البيت المعمور الذي في السماء السابعة هو بحذاء الكعبة والبيت الحرام، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف

(١) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ١/٧٩، ٨٠، ٨٢.
(٢) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي ص ٢٧٨.

ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»(١) . وأما ما يتعلق بأن الكعبة بحذاء البيت المعمور فقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : «البيت المعمور بيت في السماء بحيال الكعبة لو سقط سقط عليها ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، والحرم حرم بحياله إلى العرش ، وما من السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو قائم» . أخرجه عبد الرزاق والطبراني والبيهقي واللفظ له(٢).

قال الحافظ ابن حجر : «وهو عند الفاكهي في كتاب مكة بإسناد صحيح عنه لكن موقوفاً عليه»(٣) . والله أعلم وهو الموفق والمعين.

ثانياً : فضل الطواف بالكعبة :

الطواف بالكعبة المشرفة عبادة عظيمة وطاعة لله تعالى كبيرة ، لا تؤدى إلا بالكعبة المعظمة بمكة المكرمة ، ولا يجوز الطواف بأي بناء غير الكعبة كائناً ما كان ، وقد أمر الله تعالى المسلمين بالطواف بالبيت العتيق بأمر مؤكد - والبيت هو الكعبة كما تقدم - قال الله تعالى :

---

(١) صحيح البخاري ١٥٤٣/١ رقم ٣٢٠٧ ، صحيح مسلم ١٤٥/١ رقم ١٦٢/٢٥٩ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٢٨/٥ رقم ٨٨٧٤ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠٩/١٠ رقم ١٢٠١٩ ، شعب الإيمان للبيهقي ٤٥٥/٥ رقم ٣٧٠٥ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٠٩/٦ ، ولم أجد الحديث في أخبار مكة للفاكهي المطبوع ، ولعله في الجزء المفقود منه .

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج: ٢٩] ، وقد أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة للطائفين والعاكفين والركع السجود ، في آيتين من كتاب الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٦].

وطاف النبي صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعاً في حجة الوداع ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بدنه لأنه قلدها ، ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون وهو مهل بالحج ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت ويسعوا بين الصفا والمروة ثم يقصروا من رءوسهم ثم يحلوا ، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب»[١] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حول الكعبة على بعيره يستلم الركن ، كراهية أن يضرب عنه الناس»[٢].

---

(١) صحيح البخاري ٧٠٨/١ رقم ١٥٤٥ .

(٢) صحيح مسلم ٩٢٧/٢ رقم ٢٥٦/١٢٧٤ .

وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت سبعاً أيضاً في عمرته ، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: «اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس»[١].

و عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن رجلاً ، قال لابن عمر رضي الله عنهما : «يا أبا عبد الرحمن ما أراك تستلم إلا هذين الركنين؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن مسحهما يحط الخطيئة وسمعته يقول : من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة»[٢].

وفي مناسك الحج أن الطواف بالكعبة سبعة أشواط ركن على كل حاج ومعتمر إلى بيت الله الحرام ، وهو واجب عليهم للوداع إلا الحائض والنفساء ؛ لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، إلا أنه خفف عن الحائض»[٣].

وليس للطواف ذكر أو دعاء خاص محدد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه ، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية ، إلا فيما بين الركنين فيقرأ : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

---

(١) صحيح البخاري ١/٧٣٦ رقم ١٦٠٠ .

(٢) المجتبى من السنن للنسائي ٥/٢٢١ رقم ٢٩١٩ ، السنن الكبرى للنسائي ٤/١٣٥ رقم ٣٩٣٧ ، صحيح ابن حبان ٩/١١ رقم ٣٦٩٧ .

(٣) صحيح البخاري ١/٨٠٤ رقم ١٧٥٥ ، صحيح مسلم ٢/٩٦٣ رقم ٣٨٠/١٣٢٨ .

ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ﴾[البقرة: ٢٠١] ، فيدعو الطائف بما شاء ، والأفضل أن يكون من الدعوات الجوامع من الأذكار المأثورة ؛ فإنها أنفع وأجمع[١].

ويبدأ الطواف بالنية في القلب ولا يتلفظ بها فيقول : نويتُ بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ، ويبدأ من الحَجَرَ الأسود ، ويجعل البيتَ عن يساره ، ولم يدعُ النبي ﷺ عند الباب بدُعاء ، ولا تحت الميزاب ، ولا عِند ظهر الكعبة وأركانها[٢].

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين : «التلفظ بالنية لم يكن معروفاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعهد السلف الصالح ، فهو مما أحدثه الناس ، ولا داعي له ؛ لأن النية محلها القلب ، والله تعالى عليم بما في قلوب عباده ، ولست تريد أن تقوم بين يدي من لا يعلم حتى تقول : أتكلم بما أنوي ليعلم به ، وإنما تريد أن تقف بين يدي من يعلم ما توسوس به نفسك ، ويعلم متقلبك ، وماضيك ، وحاضرك ، فالتكلم بالنية من الأمور التي لم تكن معروفة عند السلف الصالح ، ولو كانت خيراً لسبقونا إليه ، فلا ينبغي للإنسان أن يتكلم بنيته لا في الصلاة ولا في

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٢/٢٦ ، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام ٣٧٣/١ رقم ٧ ، وانظر مكة المكرمة فضائل وأحكام ص ٣٤ .

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٢٠٦/٢ .

غيرها من العبادات لا سراً ولا جهراً»[١].

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان : «التلفظ بالنية لا يجوز ؛ لأنه من البدع ، والنية محلها القلب ولا يتلفظ بها بلسانه ؛ لأنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته الكرام ، ولا عن القرون المفضلة أنهم كانوا يتلفظون بالنية في مبدأ العبادة إلا في مسألتين :

المسألة الأولى : عند الإحرام بالنسك يقول : لبيك عمرة ، أو لبيك حجة .

والثانية : عند ذبح الهدي ، أو الأضحية ، أو العقيقة يتلفظ بتسميتها وبيان نوعها إن كانت عقيقة أو كانت أضحية أو كانت نُسكًا وعمن تكون أيضاً ، فيقول : بسم الله عن فلان بسم الله عني وعن أهل بيتي ويذبحها . وفي هاتين المسألتين ورد التلفظ بالنية وما عدا هاتين المسألتين لا يجوز التلفظ بالنية في عبادة من العبادات لا الصلاة ولا غيرها»[٢].

ويسن للرجل أن يضطبع في جميع الأشواط ، بأن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن ، وطرفيه على عاتقه الأيسر ، ويسن له أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ، وهو المشي بقوة ونشاط ، والله أعلم .

---

(١) مجموع وفتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٢/٣٥٥ .

(٢) المنتقى من فتاوى الفوزان ٢/٨٠ .

ثالثاً : فضل الصلاة في الكعبة :

وأما فضل الصلاة في داخلها فإنها مشروعة مندوبة ، فقد جاء في صحيح البخاري : «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وصلى فيها ، قال مجاهد رحمه الله : أتي ابن عمر فقيل له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ، فقال ابن عمر : فأقبلت والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج وأجد بلالاً قائماً بين البابين فسألت بلالاً فقلت : أصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة؟ قال : نعم ركعتين بين الساريتين اللتين على يساره إذا دخلت ، ثم خرج فصلى في وجه الكعبة ركعتين ، وفي رواية : عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فأغلقها عليه ومكث فيها ، فسألت بلالاً حين خرج ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال جعل : عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى»[1] ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل الكعبة مشى قِبل وجهه حين يدخل ، وجعل الباب قِبل ظهره فمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قِبل وجهه قريباً من ثلاثة أذرع صلى يتوخى المكان الذي أخبره به بلال أن النبي صلى الله

(١) صحيح البخاري ١/١٩٩ ، ٢٤٥ رقم ٣٩٧ ، ٥٠٥ ، صحيح مسلم ٢/٩٦٦ رقم ١٣٢٩/٣٨٨ .

عليه وسلم صلى فيه قال : وليس على أحدنا بأس إن صلى في أي نواحي البيت شاء[١].

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم دعا داخل الكعبة المشرفة فعن عطاء بن أبي رباح قال : «سمعت ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال : هذه القبلة»[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي أيضاً عند الكعبة قبل الهجرة ، فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرائي» . الحديث[٣] ، وفي رواية قالَ : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في ظل الكعبة»[٤].

قال الإمام البخاري في الترجيح بين الحديثين : «روى الفضل بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في الكعبة ، وقال بلال : قد

(١) صحيح البخاري ١/٢٤٥ رقم ٥٠٦ .
(٢) صحيح البخاري ١/١٩٩ رقم ٣٩٨ .
(٣) صحيح البخاري ١/٢٥٢ رقم ٥٠٢٠ .
(٤) صحيح البخاري ١/١٣٩١ رقم ٢٩٣٤ ، صحيح مسلم ١/٦٨٦ رقم ٣٠/٩٩٠ .

صلى فأخذ بقول بلال وترك قول الفضل»[١] ، وقال الحميدي : «هذا كما أخبر بلال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة ، وقال الفضل : لم يصل فأخذ الناس بشهادة بلال كذلك إن شهد شاهدان»[٢].

علماً بأن الصلاة إلى الكعبة المعظمة قد شرعت بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث كانوا يصلون قبل ذلك إلى بيت المقدس ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[البقرة:١٤٤] فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة:١٤٢] فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة»[٣].

---

(١) صحيح البخاري ١/٦٨٣ رقم ١٤٨٢ .

(٢) صحيح البخاري ١/١٢٣٥ رقم ٢٦٣٩ .

(٣) صحيح البخاري ١/٢٠٠ رقم ٣٩٩ ، صحيح مسلم ١/٣٧٤ رقم ٥٢٥/١٢ .

ويبين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن أهل قباء جاءهم خبر تحويل القبلة إلى الكعبة في صلاة الصبح وهم يصلون ، فقال : بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة(١).

قال الحافظ ابن كثير : «وحاصلُ الأمر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِرَ باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يُصَلِّي بين الركنين ، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تَعَذَّر الجمعُ بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم اختلف هل كان الأمر به بالقرآن أو بغيره ؛ على قولين ، وحكى القرطبي(٢) في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية(٣) والحسن البصري ، أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه الصلاة

---

(١) انظر صحيح البخاري ١/٢٠٢ رقم ٤٠٣ ، صحيح مسلم ١/٣٧٥ رقم ١٣/٥٢٦ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين ، صالح متعبد من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق ، توفي سنة ٦٧١هـ . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/١٦٤، الأعلام للزركلي ٥/٣٢٢.

(٣) رفيع - بالتصغير - ابن مهران أبو العالية الرياحي ، البصري الفقيه المقرئ ، ثقة كثير الإرسال من الثانية توفي سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين ، والثاني أصح ،ع . تذكرة الحفاظ ١/٤٩ رقم ٥٠-٢/٢٧ ، تقريب التهذيب ١/٣٢٠ رقم١٩٥٣ .

والسلام[1] . والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة ، فاستمرَّ الأمرُ على ذلك بضعة عَشَرَ شهراً ، وكان يكثر الدعاءَ والابتهالَ أنْ يُوَجَّه إلى الكعبة ، التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجّه إلى البيت العتيق ، فخطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وأعلمهم بذلك . وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء . وأما أهل قُبَاء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني»[2] .

اتضح لنا مما تقدم الفضل العظيم للكعبة المشرفة ، وتبين مشروعية الطواف بالكعبة ركناً وواجباً وكذا يشرع نفلاً ، وكذا مشروعية الصلاة فيها ، ولا يشرع غير ذلك من الأعمال والاعتقادات ، سئل فضيلة الشيخ العثيمين : هل يجوز التبرك بثوب الكعبة والتمسح به ، فبعض الناس يقول : إن شيخ الإسلام ابن تيمية أجاز ذلك؟

فأجاب رحمه الله بقوله : «التبرك بثوب الكعبة والتمسح به من البدع ؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي صَلى الله عليه وسلم ، ولما طاف معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالكعبة ، وجعل يمسح جميع أركان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٨/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٥٣/١ .

البيت ، يمسح الحجر الأسود ، ويمسح الركن العراقي ، والركن الشامي ، والركن اليماني ، أنكر عليه عبد الله بن عباس ، فأجاب معاوية : ليس شيء من البيت مهجوراً ، فأجابه ابن عباس : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب :٢١] ، وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الركنين يعني الحجر الأسود واليماني . وهذا دليل على أنه يجب علينا أن نتوقف في مسح الكعبة وأركانها ، على ما جاءت به السنة ؛ لأن هذه هي الأسوة الحسنة في رسول الله صَلى الله عَلَيه وَسَلمَ ، وأما الملتزم الذي بين الحجر الأسود والباب ، فإن هذا قد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم قاموا به فالتزموا ذلك ، والله أعلم .

أما ما قاله السائل أن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فنحن نعلم أنه رحمه الله من أشد الناس محاربة للبدع ؛ وإذا قدّر أنه ثبت عنه ، فليس قوله حجة على غيره ؛ لأن ابن تيمية رحمه الله كغيره من أهل العلم يخطئ ويصيب ، وإذا كان معاوية رضي الله عنه وهو من الصحابة أخطأ فيما أخطأ فيه من مسح الأركان الأربعة حتى نبهه عبد الله بن عباس في هذا ، فإن من دون معاوية يجوز عليه الخطأ ؛ فنحن أولاً : نطالب هذا الرجل بإثبات ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ وإذا ثبت عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، فإنه ليس بحجة ؛ لأن أقوال أهل العلم يحتج لها

ولا يحتج بها ، وهذه قاعدة ينبغي أن نعرفها : كل أهل العلم أقوالهم يحتج لها ولا يحتج بها إلا إذا حصل إجماع المسلمين ، فإن الإجماع لا يمكن الخروج عنه ، بل لا يمكن الخروج عليه»[١] .

وقال سماحة الشيخ ابن باز يرحمه الله : «التمسح بالمقام أو بجدران الكعبة أو بالكسوة كل هذا أمر لا يجوز ولا أصل له في الشريعة ، ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قبَّل الحجر الأسود واستلمه ، واستلم جدران الكعبة من الداخل ، لما دخل الكعبة ألصق صدره وذراعيه وخده في جدارها وكبر في نواحيها ودعا ، أما في الخارج فلم يفعل صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك فيما ثبت عنه ، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه التزم الملتزم بين الركن والباب ، ولكنها رواية ضعيفة ، وإنما فعل ذلك بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، فمن فعله فلا حرج ، والملتزم لا بأس به ، وهكذا تقبيل الحجر سنة .

أما كونه يتعلق بكسوة الكعبة أو بجدرانها أو يلتصق بها ، فكل ذلك لا أصل له ولا ينبغي فعله ؛ لعدم نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك التمسح بمقام إبراهيم أو تقبيله كل هذا لا أصل له ولا يجوز فعله ؛ لأنه من البدع التي أحدثها

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢/٣٢١ رقم ٣٦٦ .

الناس .

وأما سؤال الكعبة أو دعاؤها أو طلب البركة منها ، فهـذا شرك أكـبر لا يجوز ، وهو عبادة لغير الله ، فالذي يطلب من الكعبة أن تشفي مريـضه أو يتمسح بالمقام يرجو الشفاء منه ، فهذا لا يجـوز ، بـل هـو شرك أكـبر ، نسأل الله السلامة»(١) ، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز ابن باز ١٧/٢٢٢ .

المبحث الثاني : فضل الحجر الأسود

هو الحجر المنصوب في الركن الشرقي للكعبة ، ومن محاذاته يبدأ الطواف حول الكعبة ، ويسن استلامه عند الطواف ، وله فضائل عظيمة ، فمن ذلك أنه من أحجار الجنة كما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم» ، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، قال أبو عيسى : «حديث ابن عباس حديث حسن صحيح»[١].

وروى ابن خزيمة الحديث بلفظ «الثلج» فعن ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني آدم» ، قال الأعظمي : «إسناده حسن»[٢].

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/٢١٧ رقم ٨٧٧ ، صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ٢/١١٤٤ رقم ٦٧٥٦ ، وانظر صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني ٢/٣٧٧ رقم ٨٧٧ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٤/٢١٩ رقم ٢٧٣٣ ، صحيح الترغيب والترهيب ٢/١٤ رقم ١١٤٦ .

وقال عبد الله بن عمرو : «إن جبريل عليه السلام هو الذي نزل عليه بالحجر من الجنة ، وأنه وضعه حيث رأيتم ، وأنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم ، فتمسكوا به ما استطعتم ، فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء به»[١].

وروى الترمذي وأحمد والبيهقي والحاكم وابن حبان وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» . قال أبو عيسى : «هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفاً قوله ، وفيه عن أنس أيضاً وهو حديث غريب»[٢] ، وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : «هذا حديث تفرد به : أيوب بن سويد ، عن يونس ، وأيوب ممن لم يَحتجا – أي لم يحتج الشيخان به - إلا أنه من أجلة مشائخ الشام ، ولهذا الحديث شاهد».

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/٦٣ ، أخبار مكة للفاكهي ١/٩١ رقم ٢٥ .

(٢) أخبار مكة للفاكهي ١/٤٤٠ رقم ٩٦٠ ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/٢٢٦ رقم ٨٧٨ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٢١٣رقم ٧٠٠٠ ، السنن الكبرى للبيهقي ٥/٧٥ رقم ٩٤٩٥ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/٤٥٦ رقم ١٦٧٧ ، صحيح ابن حبان ٩/٢٤ رقم ٣٧١٠ ، صحيح ابن خزيمة ٤/٢١٩ رقم ٢٧٣١ .

وذكر الحاكم حديث أنس رضي الله عنه شاهداً له وذكر حديث عبد الله بن عمرو من طريق رجاء ابن يحيي عن مسافع بن شيبة متابعاً له[١] ، والحديث صححه الشيخ الألباني[٢].

وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة مع قريش - كما تقدم - ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود دبَّ الشقاق بين قبائل قريش ، فكل يريد أن ينال شرف رفع الحجر إلى موضعه ، وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحكّموا فيما اختلفوا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد الحرام ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل ، فهتفوا : هذا الأمين ، رضينا ، روى أبو داود الطيالسي والبيهقي عن علي رضي الله عنه ، قال : «لما انهدم البيت بعد جرهم فبنته قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه ، فاتفقوا على أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة فأمر بثوب فوضع ، فأخذ الحجر فوضعه في وسطه ، وأمر من كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فيرفعوه ، وأخذه

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/٤٥٦ رقم ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ .

(٢) انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني ١/٢٥٢ رقم ٢٥١٣ ، صحيح الترغيب والترهيب ٢/١٥ رقم ١١٤٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه»[١] . وقال ابن كثير بعد ذكر الحديث والقصة : «وهذا سياق حسن ، والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله»[٢].

وبذلك حاز النبي صلى الله عليه وسلم الشرف الذي كادوا يقتتلون عليه جميعاً ، وهذه من أول المقدمات للتكريم بالنبوة ، ومن اعترافات قريش له صلى الله عليه وسلم بأنه الأمين . وأنشد أحدهم :

فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله ... أعم وأرضى في العواقب واليد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا ... له حقه من رفعه قبضة اليد[٣]

وفي ذلك إظهار لشرف النبي صلى الله عليه وسلم على كافة رجالات

(١) مسند الطيالسي ٧٤/١ رقم ١١٥ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧٣/٥ رقم ٩٤٧٥ ، وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١٣٧/٣ وما بعدها .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٧/٢ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١٩٧/١ ، وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١٣٩/٣ وانظر مزيداً من أخبار الحجر الأسود في إفادة الأنام للغازي ٣٠٣/١ - ٣٠٦ .

قريش ، فقد كان محبوباً منهم كلهم ، وكانوا لا يرتابون في صدقه إذا حدث ، وفي عدله إذا حكم ، وفي أمانته وكريم وعظيم أخلاقه إذا عومل ، والله أعلم.

ومن فضائل الحجر الأسود وفوائده : أن تقبيله واستلامه كفارة للذنوب فقد روى الإمام أحمد وعبد بن حميد عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطاً ، قال محقق المسند : «إسناده حسن»[١] ، وقال الشيخ الألباني : «صحيح»[٢].

وفي رواية عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن رجلاً قال : يا أبا عبد الرحمن ما أراك تستلم إلا هذين الركنين قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن مسحهما يحطان الخطيئة»[٣].

ومن فضائل الحجر الأسود أيضاً وخصائصه : احتفاء النبي صلى الله عليه وسلم به ، فقد روى مسلم عن سويد بن غفلة قال : رأيت عمر قبَّل

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٨٩ رقم ٥٦٢١ ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/٢٦٣ رقم ٨٣١ .

(٢) صحيح ابن حبان ٥/١٥٠٤ رقم ٣٦٩٠ ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب ٢/١٣ رقم٣.

(٣) المجتبى من السنن ٥/٢٢١ رقم ٢٩١٩ ، السنن الكبرى للنسائي ٤/١٣٥ رقم ٣٩٣٧ ، صحيح ابن حبان ٩/١١ رقم ٣٦٩٧ .

الحجر والتزمه وقال : «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفياً»[١] ، ورواه أبو يعلى بلفظ : «إني لأقبلك ، وإني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفياً»[٢] ، وأصل الحديث في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال : «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك»[٣].

قال ابن بطال[٤] : «إنما قال ذلك عمر - والله أعلم - ؛ لأن الناس كانوا حديث عهد بعبادة الأصنام ، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله في الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلِّم أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله تعالى والوقوف عند أمر نبيه عليه السلام إذ ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها ، وأن استلامه مخالف لفعل أهل الجاهلية في عبادتهم الأصنام ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها

---

(١) صحيح مسلم ٤/٦٧ رقم ٣١٣٠ ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ٧/٣٥٨ رقم ٢٩٣٣ .

(٢) مسند أبي يعلى ١/١٢١ رقم ١٨٩ .

(٣) صحيح البخاري ١/٧٣٥ رقم ١٥٩٧ ، صحيح مسلم ٢/٩٢٥ رقم ١٢٧٠/٢٥٠ .

(٤) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ، شارح صحيح البخاري ، كان من أهل العلم والمعرفة ، عني بالحديث العناية التامة ، توفي سنة ٤٤٩هـ . سير أعلام النبلاء ١٨/٤٧ رقم ٢٠ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣/٢٨٣ .

تقربهم إلى الله زلفى ، فنبه عمر على مجانبة هذا الاعتقاد ، وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضر والنفع ، وهو الله تعالى»[١].

وقال الإمام البغوي[٢] : «والعمل على هذا عند أهل العلم يستحبون تقبيل الحجر الأسود ، فإن لم يمكنه استلمه بيده وقبل يده ويفعله في كل طوافه ، فإن لم يمكن ففي كل وتر ، فإن لم تصل يده إليه استقبله إذا حاذاه وكبر ، وهو قول الشافعي ، وقال نافع : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ، ثم يقبل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ، وقال عطاء : رأيت جابر بن عبد الله وابن عمر وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة إذا استلموا قبلوا أيديهم»[٣].

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر : «والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق» ، قال أبو عيسى : «هذا حديث حسن» ، وقال الشيخ الألباني : «صحيح»[٤].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٢٧٨ رقم ٦٨ .

(٢) هو الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد العلامة محيي السنة البغوي أحد الأئمة ، وكان ديناً عالماً عاملاً على طريقة السلف ، توفي سنة ٥١٦هـ . طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢٨٢ رقم ٢٤٨ .

(٣) انظر شرح السنة للبغوي ٧/١١٣ رقم ١٩٠٥ .

(٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/٢٨٥ رقم ٩٦١ ، مسند الإمام أحمد ٥/٤٥٩ رقم

من أحكام الحجر الأسود :

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يخب ثلاثة أطواف من السبع»(١) ، قال ابن بطال : «لا يختلف العلماء أن تقبيل الحجر الأسود في الطواف من سنن الحج لمن قدر عليه ، فإن لم يقدر عليه وضع يده عليه مستلما ثم رفعها إلى فيه ، فإن لم يقدر قام بحذائه وكبر ، فإن لم يفعل فلا أعلم أحداً أوجب عليه فدية ولا دَمَاً»(٢).

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : «أي شيء من السنن غير الواجبة إذا ترتبت عليه مفسدة أو ترتبت عليه مضرة ، وما أمكن أن تطبق إلا بهذه المفاسد والأضرار فتترك ؛ لأنه ليس بواجب ، لكن لا تقل هكذا من البداية: لا أُقبّل الحجر ، قل : إن شاء الله ، فإن الله ييسر ويسهل ، فإن استطعت أن تقبله ولو كان عليه زحام دون أن تؤذي أحداً ودون أن تضر بأحد ، حتى تتمكن من الحجر فهذا فضل عظيم ، وإذا لم يتيسر إلا بأذية وإضرار فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ولا يمكن أن يعصى الله من حيث يطاع ، ولذلك لا يقبل الحجر إذا كانت هناك أضرار

=

٣٥١١ ، صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٢٠ رقم٢٧ ٣٥ .

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٣٨ رقم١٦٠٣ .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/ ٢٩٢ رقم ٨١ .

ومفاسد أو فتن ، بل على الإنسان أن يتقي الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . ومن ترك التقبيل لعذر فإن الله يكتب له أجر التقبيل ؛ لأنك تركت التقبيل خوف الفتنة ، فالله يكتب لك أجر من قبل ؛ لأن عندك العذر ، والله سبحانه وتعالى يكتب الثواب عند وجوده ، والله تعالى أعلم»(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ولا يقبل على وجه الأرض شيء عبادة لله إلا الحجر الأسود ولا يتمسح إلا به وبالركن اليماني ، ولا يستلم الركنان الشاميان وهما من البيت فكيف غيرهما؟، وقد طاف ابن عباس ومعاوية فجعل معاوية يستلم الأركان الأربعة ، فقال ابن عباس رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ، فقال معاوية : ليس من البيت شيء مهجور ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، فقال معاوية : صدقت ورجع إلى قوله ، فالعبادات مبناها على أصلين :

أحدهما : أن لا يعبد إلا الله وحده لا نعبد من دونه شيئاً لا ملكاً ولا نبياً ولا صالحاً ولا شيئاً من المخلوقات .

والثاني : أن نعبده بما أمرنا به على لسان رسوله ، لا نعبده ببدع لم يشرعها الله ورسوله ، والعبادات تتضمن كمال الحب وكمال الخضوع ، فمن أحب شيئاً من المخلوقات كما يحب الخالق فهو مشرك ، قال الله

---

(١) التوحيد في الحج للشنقيطي ١/ ٢٤ .

تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] »(١) ، وقال أيضاً : «كما أنه لم يأمر بالاستلام والتقبيل لحجر من الحجارة إلا الحجر الأسود ، ولا بالصلاة إلى بيت إلا البيت الحرام ، ولا يجوز أن يقاس غير ذلك عليه باتفاق المسلمين ، بل ذلك بمنزلة من جعل للناس حجاً إلى غير البيت العتيق ، أو صيام شهر مفروض غير صيام شهر رمضان ، وأمثال ذلك ، فصخرة بيت المقدس لا يسن استلامها ولا تقبيلها باتفاق المسلمين ، بل ليس للصلاة عندها والدعاء خصوصية على سائر بقاع المسجد والصلاة والدعاء في قبلة المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين أفضل من الصلاة والدعاء»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً : «والاستلام هو مسحه باليد ، وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في الأرض من المسجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين ، كحجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ومغارة إبراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان يصلي فيه ، وغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس فلا تستلم ولا تقبل باتفاق الأئمة . وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/٢٧٧ .
(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/٤٤٠ .

ومن اتخذه ديناً يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وما أحسن ما روى عبد الرزاق وأحمد والبيهقي عن يعلى بن أمية قال : طفت مع عمر بن الخطاب [وفي رواية مع عثمان] رضي الله عنه: فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلمه فقال : أما طفت مع رسول الله؟ قلت : بلى قال : فهل رأيته يستلمه ؟ قلت : لا ، قال : فانفذ عنك– أي اترك استلامه - فإن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة »[١].

ويقول الشيخ عبد الملك القاسم في استلام الحجر الأسود : «لا يجوز أن يتجاوز في الحد المشروع وهو التقبيل والاستلام خلافاً لبعض الجهلة ، يظنون أنه به بركة حسية ، ولذلك إذا استلمه بعض هؤلاء أو استلم الركن اليماني مسح على بدنه تبركاً بذلك وهذا جهل؛ فلا يشرع لمن استلمه أن يمسح على بدنه أو ولده .

فعلى المسلم أن يتفقه في الدين ، ويعرف التوحيد من الشرك حتى لا يقع فيها يفسد عقيدته ، جعلنا الله وإياكم من عباده المخلصين ، ممن يعبده حق عبادته»[٢].

(١) الفتاوى الكبرى ١٢١/٢٦ .

(٢) الشرح الميسر لكتاب التوحيد لعبد الملك القاسم ٦٤/١ .

المبحث الثالث : فضل الركن اليمـاني والميزاب

أولاً : فضل الركن اليماني :

الركن اليماني : هو ركن الكعبة المشرفة المواجه لجهة اليمن - الغربي الجنوبي - ، يقابله من طرف ويوازي الركن الجنوبي الشرقي الذي يوجد به الحجر الأسود ، وهو يسبق الحجر الأسود في الطواف ، ومن طرف آخر حجر إسماعيل ، الركن الشرقي أو الركن العراقي ، كما يسميه بعض المؤرخين ، إن حجر الركن اليماني يرجع عهده إلى بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وهو الذي يوجد الآن في مكانه ، وأن كل من جدد بناء الكعبة حافظ على هذا الركن . وذكر أنه في عام (١٠٤٠هـ) في عهد السلطان مراد الرابع الذي جدد بناء الكعبة ، انكسر طرف حجر الركن ، فوُضع في محل ذلك رصاص مذاب[١].

وللركن اليماني فضائل ذكرها من عني بأخبار مكة ، كثير منها منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه عليهم رضوان الله[٢] ، ومن هذه النصوص ما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طاف الطواف الأول خب

---

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/٢٥٦ .

(٢) انظر فضائل مكة وحرمة البيت الحرام د . عاتق البلادي ص ٦٦ .

ثلاثا ومشى أربعاً ، وكان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة فقلت لنافع : أكان عبد الله يمشي إذا بلغ الركن اليماني قال : لا إلا أن يزاحم على الركن فإنه كان لا يدعه حتى يستلمه»[١].

ومنها ما روى مسلم عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها ، قال : ما هن يا ابن جريج؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين ، فقال عبد الله بن عمر : أما الأركان فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس إلا اليمانيين»[٢] ، وفي رواية عنه : «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم من أركان البيت إلا الركن الأسود ، والذي يليه ، من نحو دور الجمحيين»[٣] ، وعنه رضي الله عنه : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني والحجر في كل طواف»[٤].

قال النووي في معنى الركنين اليمانيين : «والمراد بالركنين اليمانيين : الركن اليماني ، والركن الذي فيه الحجر الأسود ، ويقال له : العراقي ؛

---

(٤) صحيح البخاري ١/٧٥٦ رقم ١٦٤٤ ، صحيح مسلم ٢/٩٢٠ رقم ١٢٦١/٢٣٠ .
(٢) صحيح مسلم ٢/٨٤٤ رقم ١١٨٧/٢٥ .
(٣) صحيح مسلم ٢/٩٢٤ رقم ١٢٦٧/٢٤٣ .
(٤) المجتبى من السنن ٩/٤١٣ رقم ٢٨٩٨ ، السنن الكبرى للنسائي ٤/١٢٧رقم ٣٩١٤ .

لكونه إلى جهة العراق ؛ وقيل للذي قبله اليماني ؛ لأنه إلى جهة اليمن ، ويقال لهما : اليمانيان تغليباً لأحد الاسمين ، كما قالوا : الأبوان للأب والأم ، والقمران للشمس والقمر ، والعمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ونظائره مشهورة ، فتارة يغلبون بالفضيلة كالأبوين ، وتارة بالخفة كالعمرين ، وتارة بغير ذلك .

قال العلماء : ويقال للركنين الآخرين اللذين يليان الحجر بكسر الحاء : الشاميان ؛ لكونهما بجهة الشام ، قالوا : فاليمانيان باقيان على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، بخلاف الشاميين ، فلهذا لم يُستلما واستُلم اليمانيان لبقائهما على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ثم إن العراقي من اليمانيين اختص بفضيلة أخرى ، وهي الحجر الأسود ، فاختص لذلك مع الاستلام بتقبيله ، ووضع الجبهة عليه بخلاف اليماني . والله أعلم»(١).

وفيما يتعلق باستلام النساء الركنين لا سيما وقت الذروة والزحام فقد روى الفاكهي والبيهقي ، عن منبوذ بن أبي سليمان(٢) ،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤/٢٣٧ رقم ٢٠٣٥ .

(٢) منبوذ بن أبي سليمان المكي ، يقال اسمه سليمان ومنبوذ لقبه ، وثقه ابن معين وابن حبان ، وكان قليل الحديث . الثقات لابن حبان ٧/٥٢٤ رقم ١١٢٨٧ ، تهذيب التهذيب ١٠/٢٦٣ رقم ٥١٥.

عن أُمِّه[١] : أنها كانت عند عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين رضي الله عنها فدخلت عليها مولاة لها فقالت لها : يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً فقالت لها عائشة رضي الله عنها : لا آجرك الله لا آجرك الله تدافعين الرجال ألا كبرت ومررت . قال محقق أخبار الفاكهي : إسناده حسن ، والله أعلم[٢].

وعن الدعاء بين الركنين أخرج النسائي والحاكم عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليماني والحجر ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة:٢٠١] ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[٣].

ويسن الرمل في الثلاثة الأشواط الأول ، وسبب ذلك ما رواه ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «فلما دخل رسول الله صلى الله

---

(١) أم منبوذ والدة منبوذ ابن أبي سليمان مقبولة من الثالثة ، أخرج لها النسائي . تقريب التهذيب ٧٥٩/٢ رقم ٨٧٧٤ .

(٢) أخبار مكة للفاكهي ١٢٢/١ رقم ١٠٩ ، السنن الكبرى للبيهقي واللفظ له ٨١/٥ رقم ٩٥٣٥ ، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٢٢٠/٧ رقم ٣٠٣٧ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ٤٣٧/٦ رقم ١٢٢٩٦ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ١٢٩/٤ رقم ٣٩٢٠ ، المستدرك ٢٧٧/٢ رقم ٣٠٩٨ وانظر مجموع فتاوى ابن باز ٦٢/١٦ .

عليه وسلم على قريش واجتمعت قريش نحو الحجر اضطبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «لا يرى القوم فيكم غميزة»(١) ، واستلم الركن اليماني وإذا تغيبت قريش مشى هو وأصحابه حتى استلموا الركن الأسود ، فطاف ثلاثة أطواف فلذلك تقول قريش وهم يمرون بهم يرملون : لكأنهم الغزلان ، قال ابن عباس : وكانت سنَّة» . قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح(٢) .

وقال النووي في حكم استلام الركن اليماني : «وأما الركن اليماني فيستلمه ولا يقبله ، بل يقبل اليد بعد استلامه ، هذا مذهبنا ، وبه قال جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة ، وقال أبو حنيفة : لا يستلمه ، وقال مالك وأحمد : يستلمه ولا يقبل اليد بعده ، وعن مالك رواية أنه يقبله ، وعن أحمد رواية أنه يقبله» ، والله أعلم(٣) .

والراجح - والله أعلم - ما قاله الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله : «أما الركن اليماني فلم يرد فيها نعلم ما يدل على الإشارة إليه ، وإنما

---

(١) الغميزة والغميز : العيب : يقال ما فيه غميز وضعف في العمل وجهلة في العقل . المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ٦٦٢/٢ .

(٢) صحيح ابن حبان ١٣٠/٩ رقم ٣٨١٢ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٣٧٩/٤ رقم ٢٢٢٨ .

يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقة ولا يقبله ، ويقول : بسم الله والله أكبر أو الله أكبر ، أما مع المشقة فلا يشرع له استلامه ، ويمضي في طوافه من دون إشارة أو تكبيرة ؛ لعدم ورود ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم»(١).

ثانياً : الميزاب :

الميزاب : هو الذي يجتلب الماء من سطح الكعبة ثم يدفعه خارجاً ، وميزاب الكعبة شبه أنبوب مصنوع من الذهب الخالص ، مكشوف الجانب العلوي وهو في جانب سطح الكعبة الشمالي ويصب في وسط حجر إسماعيل مما يلي أساس الكعبة(٢).

قال الأصمعي(٣) : «الميزاب فارسي معرَّب ، وقد استعمله أهل الحجاز ومكة فقالوا : صلِّ تحت الميزاب ، والميزاب والمئزاب والمرزاب على ثلاث لغات»(٤) ، والمرزَابُ بِالكَسْرِ لغة في الميزابِ ، وهو في الأصل :

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ١٧/٢١٩ .

(٢) فضائل مكة وحرمة البيت الحرام ص ٩٠ .

(٣) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي ، الإمام العلامة الحافظ ، حجة الأدب ، لسان العرب ، توفي سنة ٢١٦هـ . سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٥ رقم ٣٢ .

(٤) المخصص ٣/٢٤ .

قناة أو أنبوبة من الحديد ونحوه تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع جمعه : مآزيب[١] ، ويقال له أيضاً : المثعب جمعه مثاعب ، وهو مجرى الماء من الحوض وغيره[٢].

وأول من وضع ميزاباً للكعبة المشرفة قريش حين بنتها سنة [٣٥] من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانت قبل ذلك بلا سقف ، وأما الميزاب الموجود في الكعبة المشرفة إلى العصر الحاضر فهو ميزاب السلطان عبد المجيد خان ، وقد تم إصلاحه في عهد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وذلك حين رمم سطح الكعبة المشرفة . فقد قال الكردي في التاريخ القويم : وفي سنة (١٣٧٧هـ) في يوم الخميس (٩) شعبان ، تم إصلاح الميزاب الذي عمله السلطان عبد المجيد خان العثماني ، وهو من الذهب الخالص التكليف ، مبطن من الداخل بالفضة الخالصة السميكة ، يعني أن الذهب محيط بالفضة من بطنه وجانبيه ، أما علو الميزاب فهو مفتوح لا غطاء عليه ، وبين الذهب والفضة خشب سميك من جانبه وبطنه الأسفل ، وكل ذلك مسمَّر بمسامير من الذهب الخالص ، وهو على شكل المستطيل ، على وجهه قطعة من الذهب الخالص ومدلاة متحركة إلى الأمام والخلف ، وتسمى باللسان وبالبرقع .

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ١٥ ، ٣/ ٣٨٩ .

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٦٩ ، ٣٩١ .

وقد كتب على جوانب الميزاب ولسانه على الذهب تاريخ عمله وتجديده بخط الثلث الجميل البديع ، وهو قوي ومتين ، وتم إصلاح المسامير التي هي من الفضة الخالصة ، واستبدل الخشب بخشب قوي جديد ، قام بذلك الصائغ المكي الشيخ محمد نشار.

وفي الترميم الثاني للكعبة المشرفة ، وهو الترميم الشامل ، الذي انطلق في محرم عام (١٤١٧هـ) بناء على توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، تم استبدال الميزاب القديم لسطح الكعبة المشرفة بآخر جديد أقوى وأمتن وبنفس مواصفات الميزاب القديم(١).

علماً بأن أول من جعل الذهب على ميزاب الكعبة هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، وهو أول من ذهَّب البيت في الإسلام . وذرع طول الميزاب أربعة أذرع ، وسعته ثماني أصابع في ارتفاع مثلها ، والميزاب ملبس صفائح ذهب داخله وخارجه(٢).

وقد يضاف الميزاب إلى الكعبة في موضوع التوجه إلى القبلة من المدينة النبوية ؛ لأنه في جهة الشمال للكعبة ، فقد روى الحاكم عن يحيى بن

---

(١) التاريخ القويم ٤/٨٤ ، وانظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (الميزاب) .

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٣/٢٤١ رقم ٢٠٤٥ ، أخبار مكة للأزرقي ١/١٦٨ ، ٢٣٠ ، وانظر الدرر الفرائد المنظمة ١/٩٦ .

قمطة[١]، قال: «رأيت عبد الله بن عمرو جالساً في المسجد الحرام، بإزاء الميزاب، فتلا هذه الآية: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[البقرة:١٤٤] قال: نحو ميزاب الكعبة». قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»[٢]، وقال سفيان: «وقبلة النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الميزاب إلى الركن الشامي الذي يلي الحجر»[٣].

وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له، فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا تحت الميزاب، ولا عند ظهر الكعبة وأركانها[٤].

وقال العلامة المباركفوري[٥]: «ورد أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب، وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين

---

(١) انظر ترجمته في ص ١٢٢.

(٢) المستدرك ٢/٢٦٩ رقم ٣٠٦٥.

(٣) أخبار مكة للفاكهي ١/١٨٤ رقم٢٨٦، أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٨.

(٤) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٢٠٦، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٢٦/١٢٢.

(٥) هو العلامة محمد بن عبد الرحمن المباركفوري من علماء الهند عدَّه الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله ممن اشتهر في خدمة السنة والسلفية، وممن برَّز في صناعة الحديث، توفي سنة ١٣٥٣هـ. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ١/٣٩، ونظر أرشيف المجلس العلمي ١٦٦٦٣/٨.

نبياً ، ولم ينه أحد عن الصلاة فيه».

قلت : [القائل هو المباركفوري رداً على النقل السابق] :«ما أبرد هذا التحرير والاستدلال عليه بذلك التقرير ؛ لأن كون قبر إسماعيل عليه السلام وغيره من الأنبياء سواء كانوا سبعين أو أقل أو أكثر ، ليس من فعل هذه الأمة المحمدية ، ولا هو وهم دفنوا لهذا الغرض هناك ، ولا نبه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا علامات لقبورهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تحرى نبينا عليه الصلاة والسلام قبراً من تلك القبور على قصد المجاورة بهذه الأرواح المباركة ، ولا أمر به أحداً ولا تلبس بذلك أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها ، بل الذي أرشدنا إليه وحثنا عليه أن لا نتخذ قبور الأنبياء مساجد ، كما اتخذت اليهود والنصارى ، وقد لعنهم على هذا الاتخاذ ، فالحديث برهان قاطع لمواد النزاع وحجة نيرة على كون هذه الأفعال جالبة للعن ، واللعن أمارة الكبيرة المحرمة أشد التحريم . فمن اتخذ مسجداً بجوار نبي أو صالح رجاء بركته في العبادة ومجاورة روح ذلك الميت فقد شمله الحديث شمولاً واضحاً كشمس النهار ، ومن توجه إليه واستمد منه فلا شك أنه أشرك بالله ، وخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث وما ورد في معناه . ولم تشرع الزيارة في ملة الإسلام إلا للعبرة والزهد في الدنيا والدعاء بالمغفرة للموتى . وأما هذه الأغراض التي ذكرها بعض

من يعزى إلى الفقه والرأي والقياس ، فإنها ليست عليها أثارة من علم ، ولم يقل بها - فيما علمت - أحد من السلف ، بل السلف أكثر الناس إنكاراً على مثل هذه البدع الشركية انتهى»[١].

وفيما تقدم دليل على كذب ما اشتهر عند العوام أن هذا الحِجر حِجر إسماعيل ، فإسماعيل هو الذي بنى الكعبة على قواعد أصلية ، وهذا مما أخرجه قريش ، حتى غالى بعضهم وقال : إن إسماعيل دُفن تحت الميزاب يعني أن قبره في هذا الحِجر ، وهذا أكذب وأشد خطراً على الأمة ؛ لأن العوام إذا اعتقدوا هذا وصاروا يصلون في هذا المكان ، اعتقدوا أنهم يصلون على القبر وهذا خطير ، ولذلك يجب على طلبة العلم أن يبينوا للناس مثل هذه الأشياء ، والله تعالى أعلم[٢].

ومن البدع المنكرة والاعتقادات الباطلة والمشاهد المتكررة ، التي لا مستند عليها ما يفعله كثير من الناس عند نزول المطر ، من وقوفهم تحت ميزاب الكعبة وتزاحمهم عليه ، لكي ينزل الماء على رؤوسهم وثيابهم وأجسامهم ، يقصدون من ذلك التبرك به ، ولا شك أن ماء المطر الذي يقع على ظهر الكعبة ، هو كغيره من المياه ، التي تقع في سائر الحرم ، وأرجاء مكة فليس لشيء منه خاصية أو بركة ، ولكن المشاهَد أن من

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ١/٣٤٣ رقم ٢٩٤ .
(٢) شرح كتاب الحج لابن عثيمين ١/٦٣ رقم ١٤٨٠ .

يجلس في الحرم ، أو في الساحات المحيطة به ، عند نزول المطر يتسابقون إلى الماء النازل من الميزاب ، وقد يقع أحدهم على رأسه وهو يجري فيحصل له ضرر كبير ، ولكن السنة عند نزول المطر في أي مكان أن يُخرج الإنسان رحله أو يكشف رأسه ليمسّ منه ؛ لأنه حديث عهد بربه ، فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : «أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر قال : فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : لأنه حديث عهد بربه تعالى»[1] . فقد كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بدنه ليصيب من رحمة الله التي في قطرات المطر ، وهي قريبة العهد بربه ، والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح مسلم ٢/٦١٥ رقم ٨٩٨/١٣ .

المبحث الرابع : فضل الحِجر والملتزم

أولاً : فضل الحِجر :

الحِجر هو الجزء الواقع شمال الكعبة على شكل نصف دائري ، مفروش الصحن بالرخام الأبيض ، وهو من الركن الشامي إلى الركن الغربي ، وله باب مما يلي الركن الشامي ، وباب مما يلي الركن الغربي ، وذرعه من جدار الكعبة الذي تحت الميزاب إلى جدار الحجر سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع ، وذرع ما بين بابيه عشرون ذراعاً ، وعرض داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً ، ومن خارجه أربعون ذراعاً(١) .

ويسمى الحِجر الحطيم أيضاً ، قال ابن الأثير : «هو الحِجر المخرج منها سمي به لأن البيت رُفع وتُرِك هو مَحطوماً ، وقيل : لأنَّ العرب كانت تطرَح فيه ما طافت به من الثياب فَتَبْقى حتَّى تنحطم بِطُول الزمان ، فيكونُ فعيلاً بمعنى فاعل»(٢) .

قال الفيروز أبادي(٣) : «والحطيم : حِجر الكعبة أو جداره ، أو من

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ١ /١٨٩ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ /٩٩٤ .

(٣) هو أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي من أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة ٨١٧ هـ . شذرات الذهب ٧ /١٢٦ ، الأعلام ٧ /١٤٦.

المقامِ إلى البابِ أو ما بين الركنِ الأَسْودِ إلى البابِ إلى المقامِ ، حيث يتحطم الناس للدعاءِ ، وكانتِ الجاهلية تَتَحالَفُ هُناكَ وما بَقِيَ من نَباتِ عامِ أول »[١].

وقال الأَزهري[٢] : «الحِجر حَطِيم مكة ، كأَنه حجرة مما يلي المثعب من البيت ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمالِ وكل ما حجرته من حائطٍ فهو حِجر ، وفي الحديث ذكر الحِجرِ في غير موضع»[٣].

وقال ابن فارس[٤] : «حطم : الحاء والطاء والميم أصلٌ واحد ، وهو كَسْر الشيء... فأما الحطيم فممكنٌ أن يكون من هذا ، وهو الحِجْر ، لكثرة من ينْتابُه كأنه يُحْطَم»[٥] ، وأول من وضع على الحِجر الرخام وفرشه بالبلاط الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (١٤٠هـ)[٦].

والحِجر جزء من الكعبة ، وذلك أن قريشاً حين بنت الكعبة قصرت

---

(١) القاموس المحيط ١/١٤١٥ .

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، أحد الأئمة في اللغة والأدب ، توفي سنة ٣٧٠هـ . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١/٥٩ رقم ٢٩٤ ، الأعلام ٥/٣١١ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ٤/١٦٥ .

(٤) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي ، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً اللغة فإنه أتقنها ، توفي سنة ٣٩٥هـ . شذرات الذهب ٣/١٣٢ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٢/٧٨ .

(٦) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/١١٤ .

بها النفقة ولم يحصل البناء على قواعد إبراهيم عليه السلام كاملة ، وحجرت على مواضع أساس إبراهيم ، قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن قومك استقصروا من بنيان البيت ، ولولا حداثة عهدهم بالشرك ، أعدت ما تركوا منه ، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه ، فهلمي لأريك ما تركوا منه ، فأراها قريباً من سبعة أذرع» ، هذا حديث عبد الله بن عبيد[١] ، وزاد عليه الوليد بن عطاء[٢] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً»[٣] ، والصلاة فيه كالصلاة داخل الكعبة لأنه جزء منها[٤] ، ومما يدل على فضل الحِجر صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، فقد روى البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حِجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه

---

(١) هو أبو هاشم عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، عداده في أهل مكة ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي سنة ١١٣هـ . الثقات ٥/١٠ رقم ٣٥٨٠ .

(٢) الوليد بن عطاء بن خباب الحجازي . الثقات ٧/٥٥٣ رقم ١١٤٣٥ ، تهذيب التهذيب ١١/١٢٥ رقم ٢٣٩ .

(٣) صحيح مسلم ٢/٩٦٨ رقم ١٣٣٣/٤٠٣ .

(٤) مكة المكرمة فضائل وأحكام ص ٧٧ ، ٧٨ .

ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ الآية [غافر: ٢٨][١]، ومن فضائله أنه صلى الله عليه وسلم أمر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بالصلاة في الحجر، حيث روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني في الحجر فقال: صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، فإن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت»[٢]. قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الشيخ الألباني[٣].

فالصلاة في الحجر مستحب؛ لأنه من البيت، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه دخل الكعبة عام الفتح وصلى فيها ركعتين وهو متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن بلال رضي الله

---

(١) صحيح البخاري ١/١٨٧١ رقم ٣٨٥٦.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/٣١٢، سنن أبي داود ٢/٢١٤ رقم ٢٠٢٨ واللفظ له، الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/٢٢٥ رقم ٨٧٦، السنن الكبرى للنسائي ٤/١١٥ رقم ٣٨٨١، صحيح ابن خزيمة ٤/٣٣٥ رقم ٣٠١٨.

(٣) انظر صحيح أبي داود للألباني ٦/٢٦٨ رقم ١٧٦٩، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ١/٧٢٤ رقم ٧٢٤٠.

عنه كما تقدم في فضل الصلاة في الكعبة[١].

وقال سماحة الشيخ ابن باز : «أما الفريضة فالأحوط عدم أدائها في الكعبة أو في الحِجر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ؛ ولأن بعض أهل العلم قالوا : إنها لا تصح في الكعبة ولا في الحجر لأنه من البيت.

وبذلك يعلم أن المشروع أداء الفريضة خارج الكعبة وخارج الحجر تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وخروجاً من خلاف العلماء القائلين بعدم صحتها في الكعبة ولا في الحِجر ، والله ولي التوفيق»[٢].

وأما تسمية الحِجر بحِجر إسماعيل فلا أصل له ولا أساس له من الصحة ، قال الشيخ ابن عثيمين : «الحِجر الموجود الآن ليس كما يزعم العامة حِجر إسماعيل ، فإن هذا الحِجر إنما أحدث أخيراً في عهد الجاهلية ، فكيف يكون حِجراً لإسماعيل؟ لكنه يسمى الحِجر والحطيم ، ولا يضاف إلى إسماعيل إطلاقاً»[٣]. وقال الشيخ أيضاً : «والحمد لله الذي كان الأمر على ما كان عليه ، لأنه لو بنيت الكعبة على ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم - لولا المانع - لكان في هذا مشقة عظيمة على الناس ،

---

(١) انظر ص ٤٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ١١/ ٣٨٩ رقم ٤٣٢ .

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ١٩/ ١٠٩ .

لاسيما في مثل زماننا هذه ، أزمان الجهل والغشم وعدم المبالاة بعباد الله ، ولو كانت الكعبة كما أراد النبي صلى الله عليه وسلم لها بابان يدخل منه الناس وباب يخرجون منه لتقاتل الناس عند الخروج والدخول.

ولكن ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام من كون الكعبة يكون لها بابان أحدهما للدخول والآخر للخروج ، فإنه قد تحقق في الواقع ، فالحجر الآن له بابان ، أحدهما للدخول والآخر للخروج ، مع أنه مكشوف واسع ، وهذا من نعمة الله ، ومما ينبغي التنبه له هنا الحجر ليس كله من الكعبة بل الذي من الكعبة مقدار ستة أذرع ونصف تقريباً ، الزائد ليس من الكعبة ، فإذا اتجهت إلى طرف الحجر مما يلي البناية القائمة ، فإن اتجاهك صحيح وسليم»[1].

ومن الأحكام المتعلقة بالحِجر ما قاله الشيخ أيضاً : « إذا طاف الإنسان من دونه - يعني الحِجر - بأن دخل من الباب الذي بينه وبين البناية القائمة وخرج مما يقابل فإن شوطه لم يتم ؛ لأن الشوط لابد فيه من استيعاب الكعبة والحِجر أيضاً ، وعلى هذا فمن طاف على هذا الوجه فإن طوافه غير صحيح فعليه إعادته ، ولا يترتب عليه ما يترتب على الطواف ، فلا يحصل به التحلل إذا كان التحلل يتوقف عليه . وهذه

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٢/٣٩٨ ، ٤٩١ .

مسألة خطيرة لاسيما إذا كان الطواف ركناً ، كطواف العمرة وطواف الإفاضة.

وإنني بهذه المناسبة أود أن أنبه أنه يجب على من أراد الحج أو العمرة أن يتعلم أحكامهما قبل أن يدخل فيهما لئلا يقع في مثل هذا الخطأ العظيم»(١) ، والله أعلم.

ثانياً : فضل الملتزم :

الملتزم : بِفتحِ الزايِ اسم المفعول من فعل التزم فهو ملتزم ، وهو جزء من جدار الكعبة الشرقي ، وَهُوَ مَوضِعُ الالتزامِ والاعتناق من البيت ، ما بَين بَابِ الكَعبَةِ وركن الحَجَرِ الأَسوَدِ مِن حَائِطِهِ ، وسمي الملتزَم لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم(٢) ، ويُقالُ له المَدْعى ؛ لأنهم يدعون الله تعالى فيه(٣) ، ويقال له المتعوذ كما سيأتي لأنهم يتعوذون فيه من النار(٤).

وعن مجاهد قال : قال ابن عباسٍ : «هذا الملتزم بين الركن

---

(١) المصدر السابق ٢٢/٣٥٤ ، ٤٠١ .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٨/٢٦٤ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٣٣/٤٢٠ ، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية للنسفي ١/٨٩ .

(٤) أخبار مكة للفاكهي ١/١٧٠ رقم ٢٤٧ .

والباب»[١].

والملتزم له فضل عظيم حيث تستجاب فيه الدعوات وتستقبل في رحابه النفحات ، وتنال الرغبات وتقال العثرات ، بإخلاص النية وحسن المقصد والتوجه الصادق إلى الله الكريم المنان ، وهي من المشاهد العظام التي ترجى فيها المغفرة ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه التزم هذا المكان المبارك وألصق وجهه وصدره به ودعا فيه وتعوذ ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، قال : طفت مع عبد الله فلما جئنا دبر الكعبة قلت : ألا تتعوذ؟ قال : نعوذ بالله من النار ، ثم مضى حتى استلم الحجر وأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطها بسطاً ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله[٢] . قال الشيخ الألباني بعد ما حكم على الحديث بالضعف : «لكن التزام ما بين الركن والباب المذكور في هذا الحديث ، يشهد له الحديث الذي قبله ، وأحاديث أخرى موقوفة صحيحة ، خرجتها في الصحيحة ، وراجع له [تلخيص حجة النبي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلم]»[٣].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/٧٥ رقم ٩٠٤٧ ، أخبار مكة للفاكهي ١/١٦٠ رقم ٢١٥ .

(٢) سنن أبي داود ٢/١٨٠ رقم ١٨٩٩ ، وانظر أخبار مكة للفاكهي ١/١٦١ رقم ٢٢١ ، السنن الكبرى للبيهقي ٥/٩٣ رقم ٩٦٠٢ ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٣٦٠ .

(٣) ضعيف أبي داود . الأم ٢/١٧٢ رقم ٣٣٠ .

ويصور لنا الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صفوان رضي الله عنه كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يتوجهون إلى هذا المكان المبارك للتضرع إلى الله تعالى حيث قال : «لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قلت : لألبسن ثيابي وكانت داري على الطريق ، فلأنظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فانطلقت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم وقد وضعوا خدودهم على البيت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم»(١) ، والحديث ضعفه الألباني(٢) ، وقد قال الإمام النووي : «وقد سبق مرات أن العلماء متفقون على التسامح في الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال ونحوها مما ليس من الأحكام ، والله أعلم»(٣).

وفي حكم الذهاب إلى الملتزم للحاج قال الربيع بن سليمان : «أخبرنا الشافعي قال : أحب له إذا ودع البيت أن يقف في الملتزم وهو بين الركن والباب فيقول : اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني

(١) سنن أبي داود ٢/١٨١ رقم ١٨٩٨ .
(٢) ضعيف أبي داود . ٢/١٧١ رقم ٣٢٩ .
(٣) المجموع شرح المهذب للنووي ٨/٢٦١ .

بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك ، فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضاً وإلا فمن الآن قبل أن تنأى عن بيتك داري فهذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم فاصحبني بالعافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك ما أبقيتني . وهذا من قول الشافعي رحمه الله وهو حسن»(١).

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى تعقيباً على هذه الأحاديث وغيرها : «روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريقين يرتقي الحديث بهما إلى مرتبة الحسن ، ويزداد قوة بثبوت العمل به عن جمع من الصحابة ، منهم ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى الملتزم لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، وهذا موقوف»(٢) ، وصح مِن فعل عروة بن الزبير أيضاً ، وكل ذلك مخرج في الأحاديث الصحيحة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وإن أحب أن يأتي الملتزم - وهو ما بين الحجر الأسود والباب - فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٦٤ رقم ١٠٠٤٩ .

(٢) المصدر السابق ٥/١٦٤ رقم ١٠٠٤٨ .

وكفيه ، ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته - فعل ذلك . وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع ، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره ، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة ، ولو وقف عند الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسناً ، فإذا ولى لا يقف ولا يلتفت ولا يمشي القهقرى»[١].

قال العلامة الألباني : «أخرجه أبو داود والبيهقي وأحمد[٢] ، وابن أبي شيبة في مسنده ، ورجاله ثقات غير يزيد هذا -وهو الهاشمي مولاهم- ضعيف الحفظ . ووجدت له شاهداً موقوفاً قوياً ، فروى عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد قال : قال ابن عباس : « هذا الملتزم بين الركن والباب»[٣] ، قلت : وهذا إسناد صحيح . ثم روى عن هشام بن عروة عن أبيه : «أنه كان يلصق بالبيت صدره ويده وبطنه» ، وسنده صحيح أيضاً ، وروى عبد الرزاق أيضاً بسند صحيح عن مجاهد قال : جئت ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن

(١) مناسك الحج والعمرة للألباني ١/٢٢ رقم ٢٨ . وانظر الفتاوى الكبرى ٢٦/١٤٢ .
والقهقرى : الرجوع إلى الخلف وتثنيته القهقران بحذف الياء . وقهقر وتقهقر : رجع القهقرى . القاموس المحيط ١/٦٠١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣٥٠ رقم ٣٢٨٠ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ٥/٧٦ رقم ٩٠٤٧ .

والباب[١]. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه أيضاً[٢] ، لكنه قرن مع ابن عباس ابن عمرو وابن عمر . وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن نافع أن ابن عمر كان لا يلزم شيئاً من البيت[٣] ، لكن رواية مجاهد أولى ؛ لأنه مثبت والمثبت مقدم على النافي ، كما هو مقرر في علم الأصول»[٤].

وقال أيضاً : «لكن التزام ما بين الركن والباب المذكور في هذا الحديث ، يشهد له الحديث الذي قبله ، وأحاديث أخرى موقوفة صحيحة ، خرجتها في الصحيحة»[٥].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : «وهذه مسألة اختلف فيها العلماء مع أنها لم ترد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم - أي من طريق صحيح - وإنما جاءت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ، حيث كانوا يفعلون ذلك عند القدوم ، والفقهاء قالوا : يفعله عند المغادرة ، وعلى هذا فالالتزام لا بأس به ما لم يكن فيه أذية وضيق»[٦].

وقال الشيخ عبد المحسن العباد في أحاديث التزام الملتزم : «لكن كونه

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/٧٦ رقم ٩٠٤٥ .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣/٦٤٦ رقم ١٣٩٦١ .
(٣) مصنف عبد الرزاق ٥/٧٦ رقم ٩٠٥١ .
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني ٥/١٣٧ رقم ٢١٣٨ .
(٥) انظر ضعيف أبي داود ٢/١٧٢ .
(٦) الشرح الممتع على زاد المستنقع لابن عثيمين ٧/٣٧٢ .

جاء عن بعض الصحابة وثبت ذلك عنهم يمكن أن يكون له وجه ، ولكن كما هو معلوم المنطقة الآن هي بجوار الحَجر وذاك محل زحام ، والقضية ليست قضية الاستلام ، فالاستلام أمره سهل فيمكن للمرء أن يقبله أو يلمسه ، ولكن المشكلة هذا الالتصاق الذي يكون فيه تزاحم ، فإذا فعل الإنسان ذلك لكونه جاء عن بعض الصحابة فهذا له وجه ، وإن تركه فإنه لا يترتب عليه ترك شيء واجب»[١].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله : «وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه التزم الملتزم بين الركن والباب ، ولكنها رواية ضعيفة ، وإنما فعل ذلك بعض الصحابة رضوان الله عليهم . فمن فعله فلا حرج ، والملتزم لا بأس به»[٢].

والملتزم من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء ، والسلف الصالح رحمهم الله كانوا يدعون فيه في حاجاتهم ، فقد ذكر ابن عبد البر أن أبا الزبير قال : «دعوت الله هناك بدعاء فاستجيب لي ، وقد روي عن النبي عليه السلام أحاديث فيما يرغب في الصلاة والذكر والدعاء بين الركن والمقام ، وكان ابن عباس كثيراً ما يدعو بين الركن المقام ، وكان من دعائه فيه : اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة لي

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ١٠/٦٠

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ١٧/٢٢٢ .

بخير»[١].

ومن طرائف ما وقع في الملتزم أن قال الأصمعي : «رأيت أعرابياً عند الملتزم ، فقال : اللهم إن لك عليَّ حقوقا ؛ فتصدق بها علي ، وللناس علي تبعات ؛ فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك ؛ فاجعل قراي الليلة الجنة»[٢] . وقال الأصمعي أيضاً : «سمعت أعرابياً عند الملتزم يقول : اللهم أعني على الموت وكربته ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ، وعلى يوم القيامة وروعته»[٣].

وينبغي للداعي في هذا المكان المبارك أن لا يضيِّق على غيره من الطائفين العابدين ، فيطيل الدعاء ، كما لا تجوز مزاحمة الناس وأذيتهم من أجله ، علماً بأن هذا الموضع ملاصق لمكان استلام النساء للحجر الأسود ، فقد يقع الاختلاط وربما الالتصاق ، والله تعالى المستعان ، فإن رأى الشخص الذي يريد الدخول إليه فسحة مناسبة ومجالاً واسعاً دعا الله تعالى ، وإلا فيكفيه الدعاء أثناء الطواف وفي سجود الصلوات ونحوها ، والله أعلم وبالله التوفيق .

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر ٤/٣٥٢ رقم ٩٢٠ .

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ١/٤٧٣ رقم ١٥٦ .

(٣) المصدر السابق ٨/١٢٧ رقم ٣٤٥٠ .

المبحث الخامس :
باب الكعبة ومفتاحه وكسوة الكعبة

أولاً : باب الكعبة :

من المعلوم أن باب الكعبة المشرفة يقع في الجهة الشرقية منها ، وهو الآن يرتفع عن الأرض من الشاذروان (٢٢٢سم) ، وطول الباب نفسه (٣١٨سم) ، وعرضه (١٧١سم) ، وبعمق ما يقارب نصف متر ، وكان للكعبة المشرفة فتحة للدخول إليها ، صنع لها باب بعد ذلك ، ونحن لا ندري على وجه الدقة مَنْ أول من عمل باباً للكعبة المشرفة ، إذ اختلف الرواة في ذلك على عدة أقوال ، أرجحها أن تُبَّعاً الثالث أحد ملوك اليمن المتقدمين على البعثة النبوية بزمن بعيد ، هو أول من جعل للكعبة المشرفة باباً ومفتاحاً ، فقد روى الأزرقي عن محمد بن إسحاق قال : بلغني عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبَّع وهو أسعد ، وجعل لها باباً يغلق ، ولم يكن يغلق قبل ذلك[1].

ثم لما عمرتها قريش جعلت لها باباً بمصراع واحد . كذا ذكر ابن

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/١٩٧ ، الروض الأنف في شرح غريب السير للسهيلي ١/٢٦٢ .

فهد[١] ، حيث قال : وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعاً واحداً فجعل لها ابن الزبير مصراعين ، طولهما أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاها اليوم[٢].

يقول صاحب المحمل[٣] والحج : وكان لها باب ملاصق للأرض بلا مصراع ، وقريش لما بنوها رفعوا بابها عن الأرض ، وفي خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جعل لها بابين لاصقين بالأرض وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وجعل لها ميزاباً يصب في الحِجر ، ولما جاء الحجاج بن يوسف الثقفي من قِبل عبد الملك بن مروان غيَّر ما بناه ابن الزبير فسدَّ بابها الغربي[٤].

---

(١) هو نجم الدين عمر بن محمد بن محمد ابن فهد القرشي الهاشمي المكي ، مؤرخ من بيت علم ، ، توفي سنة ٨٨٥هـ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣٤٢/٧ ، الأعلام ٦٣/٥ .

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد ٧٥/٢ ، وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١٤٣/٣ ، وانظر تاريخ الكعبة المشرفة للطريقي ص ٦٥ .

(٣) المحمل هو عبارة عن موكب وقافلة تحمل الهوادج من الجمال ، وهو بمثابة الحملات الآن إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ، وهذه الظاهرة كانت موجودة قديماً أيام العثمانيين ، وكان المحمل المصري يحمل كسوة للكعبة ، وفي أثناء سير المحمل يحصل كثير من البدع المنكرة والأعمال الخرافية ، فمنعت هذه الظواهر في عهد آل سعود الميمون والحمد لله . أرشيف ملتقى أهل الحديث ٤٣٢/٨٥ .

(٤) المحمل والحج ٨٥/١ .

ويبدو أن باب الكعبة كان موجوداً قبل الإسلام أيام عبد المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث ضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة ، فكان أول ذهبٍ حليته الكعبة[١].

وجاء ذكر باب الكعبة في الصحيحين في حديث دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة عام الفتح ، يقول ابن عمر رضي الله عنهما : «ففتح له الباب فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأسامة وبلال وعثمان ثم أغلقوا عليهم الباب فمكث نهاراً طويلاً ثم خرج وابتدر الناس الدخول فسبقتهم فوجدت بلالاً قائماً من وراء الباب ، فقلت له : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صلى بين ذينك العمودين المقدمين وكان البيت على ستة أعمدة سطرين صلى بين العمودين من السطر المقدم وجعل باب البيت خلف ظهره». الحديث[٢] وفي رواية : «فأجاف[٣] الباب ، والبيت إذ ذاك على ستة أعمدة ، فمضى حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللتين تليان الباب باب الكعبة ، جلس»[٤].

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ١٩/٢ رقم ١٠٦٦ ، دلائل النبوة للبيهقي ٩٦/١ ، أعلام النبوة للماوردي ٢١٥/١ .

(٢) صحيح البخاري ٢١٧٩/١ رقم ٤٤٠٠ ، صحيح مسلم ٩٦٦/٢ رقم ٣٨٩/١٣٢٩ .

(٣) أجاف الباب : أي رده . تهذيب اللغة ١٤٣/١١ ، لسان العرب ١٤٨/١٥ .

(٤) السنن الكبرى للنسائي ١١٦/٤ ، المجتبى من السنن ٣٥٥/٩ رقم ٢٨٤٥ ، قال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد . صحيح وضعيف سنن النسائي ٤٨٦/٦ رقم٢٩١٤ ، صحيح

وأول من عمل الذهب على باب الكعبة في الإسلام : عبد الملك بن مروان[١].

وعلى مر التاريخ كان هذا الباب بمواصفات مختلفة لدى الخلفاء والسلاطين ، مصنوع من خشب الساج مطلي من فضة ومن ذهب ، وبقي هذا الباب على الكعبة إلى عهد المؤرخ باسلامه (ت١٣٥٦هـ) ، حيث ذكر في تاريخ الكعبة قال : «وهذا الباب الأخير الذي عمله السلطان مراد خان هو الباب الموجود على الكعبة المشرفة إلى العصر الحاضر»[٢].

وفي العهد السعودي تم تركيب بابين :

الباب الأول : في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية رحمه الله ، وقد كان عام (١٣٦٣هـ) ، حيث تم صنع باب جديد من الألمونيوم بسمك (٢ . ٥)سم ، وارتفاعه (٣ . ١٠م) ، ومدعم بقضبان من الحديد ، وتمت تغطية الوجه الخارجي للباب بألواح من الفضة المطلية بالذهب ، وزين الباب بأسماء الله الحسنى ، وقد صنعه شيخ الصاغة.

=

ابن خزيمة ٣٢٩/٤ رقم ٣٠٠٤ .

(١) أخبار مكة للفاكهي ٢٣٧/٣ رقم ٢٠٣٩ .

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٤٣ ، التاريخ القويم ٢٥٣/٣ .

الباب الثاني : وهو الموجود حالياً ، وكان قد أمر بصنعه الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ، وقد برزت الفكرة عند ما لاحظ الملك خالد رحمه الله عام (١٣٩٧هـ) قدم الباب عند ما صلى في جوف الكعبة ، ورأى آثار خدوش في الباب فأصدر توجيهاته فوراً بصنع باب جديد للكعبة المشرفة وباب التوبة من الذهب الخالص ، وهو باب السلم الذي يصعد به إلى سطح الكعبة المشرفة.

وقد بلغ ما أنفق في صناعة البابين [باب الكعبة وباب التوبة] مبالغ كبيرة من الريالات ، عدا كمية الذهب التي تم تأمينها بواسطة مؤسسة النقد العربي السعودي ، وكميتها (٢٨٠) كيلو جراماً ، وكان الذهب من عيار (٩٩٩ . ٩%) ، واستغرق العمل منذ بدء العمل التنفيذي فيه في غرة ذي الحجة عام (١٣٩٨هـ) اثني عشر شهراً ، وقد أقيمت ورشة خاصة لصناعته[١].

مواصفات باب الكعبة المشرفة الحالي :

وهو الباب الثاني الذي أمر بصنعه الملك خالد رحمه الله ولا زال موجودًا حتى الآن.

لقد تم استخدام أحدث الطرق الفنية في الهيكل الإنشائي للباب ،

---

(١) انظر التاريخ القويم ٣/٢٥٣ ، تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٤٣ [الحاشية] .

للتوصل إلى درجة عالية من المتانة والجودة ، بحيث يقوم الباب بوظيفته بدون الاحتياج إلى صيانة ، وقد جرى تفصيل الهيكل الإنشائي وتجهيزه بواسطة فنيين أخصائيين في ضوء مطابقة التصميم الزخرفي من جهة ، ومراعاة عوامل الطقس والموقع في تحمل الحرارة الشديدة والأمطار من جهة أخرى . وأعدت أحدث الاحتياطات الفنية لمعالجة كافة النقاط التفصيلية ، والارتباط بين الباب والحلق من جهة والجوانب من جهة أخرى ، وزودت نهاية الباب بعارضة من الأسفل لمنع دخول المطر إلى داخل الكعبة المشرفة ، وتحتوي على قضيب خاص يضغط حرف الباب على العتبة عند الإغلاق.

أما بالنسبة للزخرفة والكتابة على الباب ، فقد اختيرت الزخرفة من أنواع متجانسة أهم عناصرها هي زخرفة الإطار البارز ، وهي الزخرفة التي تستمر في مستوى مكان القفل ، حيث تعطي له الأهمية اللازمة ؛ لأن قفل الكعبة المشرفة له ميزة خاصة في الشكل التراثي والوظيفي.

وأضيفت في الزاويتين العلويتين زخارف متميزة لإبراز شكل قوس يحيط بلفظ الجلالة (الله جلَّ جلالُه) ، واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم والآيات القرآنية الكريمة[1].

---

(١) تاريخ الكعبة المشرفة ص ١٤٠ وما بعدها ، وانظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (باب الكعبة) .

ثانياً : مفتاح باب الكعبة :

مما لا شك فيه أن قفل ومفتاح باب الكعبة المشرفة تابع لنفس الباب ، فمتى كان الباب كان القفل ومفتاحه ، وحيث إننا لا ندري بالتحديد متى جعل للكعبة باب ، فإننا لا ندري متى كان أول قفل ومفتاح عمل للكعبة ، وكما أنه من المرجح - كما تقدم - أن تُبَّعًا هو أول من جعل للكعبة باباً يغلق ، فيكون هو أول من جعل قفلاً للكعبة ومفتاحاً . وعلى كل حال فنحن لا ندري صفتهما ولا نوعهما.

وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : «أقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء[١] ومعه بلال وعثمان بن طلحة حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح ، فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب». الحديث[٢].

و عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول لعثمان بن طلحة حين دفع إليه مفتاح الكعبة : «هاؤم غيبه» ، قال : فلذلك يغيب المفتاح . قال الهيثمي : «رواه الطبراني في

---

(١) القصواء: لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقصواء التي قُطِع طرَف أُذنها ، ولم تكن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قَصْواء وإنما كان هذا لقباً لها. لسان العرب ١٨٣/١٥.

(٢) صحيح البخاري ١/٢١٧٩ رقم ٤٤٠٠ ، صحيح مسلم ٢/٩٦٦ رقم ١٣٢٩/٣٨٩ .

الكبير ورجاله ثقات»[١].

وما اشتهر من أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ الآية [النساء : ٥٨] ، نزل في عثمان بن طلحة ، لم يثبت من طريق صحيح ، قال الحافظ ابن كثير : «وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة ، عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري ، حاجب الكعبة المعظمة ، وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة ، هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة ، فكان معه لواء المشركين يوم أحد ، وقتل يومئذ كافراً . وإنما نبهنا على هذا النسب ؛ لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليهم هذا بهذا ، - - ثم قال - : وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك ، وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام؛ ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية : هي للبر والفاجر ، أي : هي أمر لكل أحد»[٢].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢/١٦١ رقم١٥١٧ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٣/٦٣١ رقم ٥٧٣٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٤٠ - ٣٤١ .

وبنو شيبة الذين هم سدانة البيت الحرام وحجابتها ينسبون إلى شيبة بن عثمان هذا ، والمراد من السدانة : فتح الكعبة وإغلاقها والقيام بشئونها وخدمتها ، وتذكر كتب السير والتاريخ أن السدانة كانت قبل ذلك في أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ثم اغتصبها منهم أخوالهم جرهم ثم منهم خزاعة ، ثم استردها منهم قصي بن كلاب وهو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت في بني عبد الدار جاهلية وإسلاماً ، ولم تزل السدانة في ذريته حتى انتقلت إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة المذكور.

وقد مات عثمان ولم يعقب ، فصارت إلى ابن عمه شيبة بن عثمان ، كما تقدم عن ابن كثير ، ولا تزال في يد ولده إلى الآن[1].

وقد سئل المشائخ في اللجنة الدائمة للإفتاء عن صحة قول تعذر فتح باب الكعبة أو معالجة فتحه من غير بني شيبة ، فأجابوا بقوله : «بنو شيبة : هم سدنة الكعبة ، ولكن تعذر فتح باب الكعبة بمفتاحها لمن يتولى ذلك أو يعالجه من غيرهم غير صحيح ، وما ذكر في السؤال من تعذر فتحها حتى وضع رضيع من بني شيبة يده على بابها ، كذب مخالف لسنن الله الكونية في ترتيب المسببات على أسبابها ، فمن ادعى ذلك فهو مدع

---

(١) انظر مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص ٢٥٥ .

خلاف الأصل الذي جرت به سنة الله في خلقه وتدبيره، ولم يثبت أن لبني شيبة خصوصية كونية أو شرعية أكثر من أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاهم مفتاح الكعبة»[١].

وإذا نظرنا إلى ما وصل إلينا من معلومات تاريخية على مر التاريخ عن أقفال الكعبة ومفاتيحها، من العصر العباسي والعصر المملوكي والعصر العثماني، نجد أن الخلفاء والسلاطين من تلك العصور كانوا يرسلون هذه الأقفال والمفاتيح لاستخدامها في غلق وفتح باب الكعبة، وذلك أثناء ترميم الكعبة أو في بعض المناسبات الأخرى، وتعددت الأقفال والمفاتيح بتعدد الخلفاء والسلاطين، جرياً وراء تأكيد السيادة، لا لأن الكعبة كانت في حاجة إلى كل تلك الأقفال ومفاتيحها.

وآخر قفل ومفتاح في العصر العثماني لباب الكعبة المشرفة، هو قفل ومفتاح أمر بصنعهما السلطان عبد الحميد خان في سنة (١٣٠٩هـ) تسع وثلاثمائة وألف.

ولقد بقي هذا القفل والمفتاح على باب الكعبة إلى العهد السعودي الزاهر، إلى أن تم استبدال الباب بأمر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وذلك في سنة (١٣٩٨هـ)، وكذلك تم استبدال

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/٥١٢ .

الفقل والمفتاح تبعا للباب ، وهو الموجود حالياً للكعبة المشرفة.

ولقد تمت صناعة القفل الجديد بنفس مواصفات القفل القديم ، والذي يعود إلى عهد السلطان عبد الحميد سنة (١٣٠٩هـ) ، وذلك بما يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد ، ومع زيادة ضمانة الإغلاق دون الحاجة إلى صيانة[١].

والجدير بالذكر أنه قد جرت العادة أن يوضع مفتاح باب الكعبة المشرفة لدى أكبر السدنة سناً ، وهو السادن الأول ، وعند فتح الكعبة يشعر السادن الأول جميع السدنة الكبار منهم ، بوقت كاف ليتمكنوا من الحضور جميعاً إن أمكن ذلك أو بعضهم ؛ وذلك ليقوموا بغسلها بمعية ولي الأمر والأمراء وضيوفه الكرام ، وفي الوقت الحاضر تغسل الكعبة من الداخل مرتين :

الأولى : في غرة شهر شعبان ، والثانية : في شهر محرم الحرام من كل عام . ويقوم بهذا الشرف العظيم خادم الحرمين الشريفين أو من ينوب عنه ، بحضور معالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ونائبه لشؤون المسجد الحرام وعدد من سفراء الدول الإسلامية ، ورؤساء بعثات الحج وغيرهم من كبار المسئولين ، بمعية السدنة بعد القيام بفتح

---

(١) تاريخ الكعبة المشرفة ص ١٤٥ ، انظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (باب الكعبة المشرفة) .

باب الكعبة ، فيتشرفون بغسلها ، ومسح جدرانها بماء زمزم المعطر بالند والعود وعطر الورد ، حتى إذا تم ذلك صلوا إلى جدرانها ، ثم دعوا حامدين شاكرين الله رب العالمين.

وقد جرت العادة منذ عصور الإسلام الأولى أن تفتح الكعبة في مناسبات مختلفة ، وفي العصر الحالي نجد أن الكعبة المشرفة تفتح في بعض المناسبات ، تفتح لغسل الكعبة من الداخل كما تقدم ، وتفتح أيضاً عند ما يأتي إلى المملكة العربية السعودية بعض زعماء الدول الإسلامية ومسئوليها الكبار من الوزراء وغيرهم في مهمات رسمية وغير رسمية ، فيحِنُّون إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة فيأتون إليه حجاجا وعمَّاراً ، فيستقبلهم كبار المسئولين بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وقد تفتح لهم الكعبة المشرفة ، تكريماً لشأنهم ، وتقديراً لمكانتهم ؛ لأنهم يمثلون المسلمين في بلدانهم ، فيصلون فيها أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدعون الله عز وجل[1].

ثالثاً : كسوة الكعبة :

يبدو أن كسوة الكعبة كانت قديمة ، فقد قيل أن تبَّع الحميري ملك اليمن هو أول من كسا الكعبة ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبه

(١) انظر موقع بوابة الحرمين الشريفين (مفتاح الكعبة) .

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن سب أسعد الحميري وهو تبع ، وكان هو أول من كسا الكعبة كسوة كاملة[١].

والكسوة على الكعبة كان موجوداً قبل الإسلام ، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل ، فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال : «اقتلوه»[٢] ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده يكسونها ثياباً وبروداً يمانية في العاشر من شهر الله المحرم من كل عام ، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ، وكان يوماً تستر فيه الكعبة»[٣].

وذكر الحافظ ابن حجر عن الفاكهي بإسناد حسن ، أن ثياب الكعبة احترقت عام الفتح ، وكانت كسوة المشركين فكساها المسلمون بعد ذلك[٤].

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/٢٤٩ ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٢٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ١/٨٤٧ رقم ١٨٤٦ ، صحيح مسلم ٢/٩٨٩ رقم ١٣٥٧/٤٥٠ .

(٣) صحيح البخاري ١/٧٣٣ رقم ١٥٩٢ ، وانظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/١٦٥ وما بعدها .

(٤) أخبار مكة للفاكهي ٥/٢٣١ رقم ٢٠٩ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/٤٥٨ .

هذا وقد حظيت كسوة الكعبة عناية كبيرة على مرّ العصور والقرون لدى الخلفاء والسلاطين والملوك ، وهي في تطور دائم في تفصيلها واختيار مادتها وأقمشتها[١].

وفي عام (١٣٤٦هـ) أمر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ، بإنشاء دار خاصة لعمل الكسوة للكعبة المعظمة ، فأُنشئت في حارة أجياد ، ثم صدر أمر جلالة الملك فيصل رحمه الله عام (١٣٨٢هـ) بتجديد مصنع الكسوة ، حيث تم افتتاح المبنى الجديد بأم الجود عام (١٣٩٧هـ) في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله ، وما زال المصنع يؤدي عمله على أحسن وجه والحمد لله[٢].

---

(١) انظر تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٩٦ وما بعدها

(٢) تاريخ الكعبة المعظمة ص ٣٤٧ ، وانظر تاريخ الكعبة المشرفة للطريقي ص ٢٥٩ .

الفصل الثاني : فضائل المسجد الحرام

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : المسجد الحرام في القرآن الكريم

المبحث الثاني : مضاعفة الأجر في المسجد الحرام

المبحث الثالث : شد الرحال إلى المسجد الحرام

المبحث الرابع : إجزاء الصلاة في المسجد الحرام للناذر للصلاة في بيت المقدس

تمهيد : في التعريف بالمسجد الحرام وموقعه

المراد من المسجد الحرام المسجد المحيط بالكعبة المشرفة في وسط مدينة مكة المكرمة ، ولم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر رضي الله عنه وكثر سواد المسلمين ، ووجد الناس قد ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها ، فاشترى في سنة (١٧هـ) دوراً من أهلها وهدمها وأدخلها في المسجد المحيط بالبيت ، بعد ما عوضهم من بيت مال المسلمين ، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة ، فكانت المصابيح توضع عليه ، فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل أخرى وسع بها المسجد سنة (٢٦هـ) ، ويقال إن عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة حين وسعه ، وفي عهد معاوية رضي الله عنه تهدم جزء من معالم الحرم ، فكتب إلى عامله بالمدينة مروان بن الحكم ، فتمت إقامة هذه المعالم.

وفي سنة (٦٤هـ) زاد فيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه زيادة كبيرة بعد ما اشترى دوراً من حول المسجد ، وجعل فيه عمداً من رخام ، وزاد في أبوابه وحسنها ، ثم إن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك شيده تشييداً محكماً وسقفه بالساج المزخرف ، وجعل له شرافات وقد غشى تيجان الأعمدة بالنحاس ، ثم في سنة (١٣٩هـ) قام الخليفة العباسي

أبو جعفر المنصور بتوسعة المسجد الحرام بقدر نصفه من جانبه الشامي والغربي ، فاصبح طول المسجد (٣٧٠) ذراعاً وعرضه (٣١٥) ذراعاً ، ثم توالت التوسعة للمسجد الحرام عند خلفاء بني العباس حسب الحاجة والضرورة[١].

ولما آلت الخلافة إلى السلاطين العثمانيين وقع حريق كبير في المسجد الحرام أيام الناصر فرج ابن برقوق سنة (٨٠٢هـ) ، فأتى على نحو ثلث المسجد ، واحترق (١٣٠) عموداً رخاماً ، فأمر الملك بتنظيف الحرم من آثار الحريق ، وكشف عن أساسات المسجد والاسطوانات ثم بناها بأحجار جديدة بإحكام وإتقان ، موصلة بعضها ببعض بأطواق من حديد ، واستعمل في إعادة العمارة المرمر والجص والحجر الصوان في الجدران والسقف ، وانتهى منها في آخر شعبان سنة (٨٠٤هـ) ، ثم توالت الترميمات والإصلاحات وتجديد أروقة الحرم في عهد السلاطين ، وأهمهم السلطان مراد خان بن السلطان سليم ، فاجتهد في البناء واستمر في التشييد وتجديد معالم المسجد الحرام ، وتعمير ما تضعضع من أركانه ، وعمل لمنع جلوس طير الحمام وغيره على الاسطوانات والأوتار ، وغيَّر أهلة القباب التي عملت من النحاس وطليت بالذهب ، وأنفق في ذلك

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص ٢٥٣ ، انظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ص ٤٠٩ .

أموالاً طائلة ، وكان ذلك سنة (١٠٤٠هـ)[١].

والمسجد الحرام تطيف به من جهاته الأربع ثلاث بلاطات على ثلاث سوار من الرخام منتظمة كأنها بلاط واحد ، ذرعها في الطول أربعمائة ذراع وفي العرض ثلاثمائة ذراع ، فيكون تكسيره محققاً ثمانية وأربعين مرجعاً ، وعدد سواريه الرخامية أربعمائة سارية وأربع وثمانون سارية حاشا الجبصية التي منها في دار الندوة وعند باب إبراهيم.

ويطيف بهذه المواضع كلها دائر البيت العتيق ، وعلى بعد منه يسيراً قد أقيم صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصفر ، وصل بينها بعوارض من حديد تعلق فيها مشاعيل ومصابيح توقد فوق خشب مركوزة ، فيتقد الحرم الشريف كله نوراً وضياءاً ، وكان بجوار المطاف في الجهة الشرقية المنبر المعمول من رخام من زمن قديم أزيل الآن للتوسعة وأبدل بمنبر خشبي مزخرف متنقل ، وكان في جنوبيه قبة أقيمت على بئر زمزم منذ سنة (١٤٥هـ) ، وكان بشمالي المنبر باب بني شيبة وهو باكية كبيرة قامت وسط الحرم في حدود المطاف ، على عمودين من البناء المكسو بالرخام ، وأرض المطاف منخفضة عن الأرض المحدقة به ، بثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب بدرج ، وصحن المسجد سقفه السماء وكان

---

(١) انظر تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٣٠ وما بعدها ، وانظر المحمل والحج ١/١٤٥- ١٥٥ بتصرف واختصار .

فرشه الحصباء إلا ما تخلله من المماشي التي بين الأبواب والأروقة من جهة ، والمطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى ، فإنها مرصوفة بحجارة من الجص كالأروقة ليسلكها الناس ، أما الآن فليست هناك حصباء بل المطاف كاملاً مبسوط بالرخام الأبيض الذي هو ضد حرارة الشمس ، وكان للحرم الشريف سبع منارات ، أربع في الأربعة الجوانب وواحد في دار الندوة ، وأخرى على باب الصفا وأخرى على باب إبراهيم ، وكان للحرم الشريف نيف وأربعون باباً لها أسماء ، منها باب القائد ويسمى أيضا باب الخياطين ، وباب العباس رضي الله عنه ، وباب علي رضي الله عنه ، وباب بني شيبة ، وباب الرباط ، وباب الندوة ، وباب دار المجلة ، وباب السدة ، وباب العمرة ، وباب إبراهيم عليه السلام ، وباب جزورة ، وباب جياد ، وباب غزوة ، وباب الصفا[1].

وكان للحرم المكي الشريف أربعة أئمة للصلوات المفروضة وكل واحد من الأئمة الأربعة صلاته تحت سقيفة ومقامات مصنوعة من الخشب البديع النجارة قامت على عمد من رخام ، فالمالكية تصلي قبالة الركن اليماني ، والشافعية خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، والحنفية قبالة الميزاب في البلاط الآخذ من المغرب إلى الجنوب ، والحنبلية تقابل ما بين

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي ١/٧٥ ، وانظر المحمل والحج ١/١٦٠- ١٦٢ .

الحجر الأسود والركن اليماني في البلاط الآخذ من المغرب إلى الشمال وهي ذات طبقتين ، والحنفي يبتدئ بالصلاة في جميع الأوقات ، ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي ، إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي ، وعند ما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - أبطل بدعة تعدد الجماعات في المسجد الحرام سنة (١٣٤٣هـ)[١].

يشهد المسجد الحرام اليوم مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى ورعاه ، وهو مشروع عملاق ضخم ، لم يشهد الحرم المكي الشريف مثل هذه التوسعة العظيمة في تاريخه ، والمشروع يشتمل على توسعة المسجد الحرام من جهة الساحات الشمالية ، وتوسعة صحن المطاف ، بتكلفة تقدر بمليارات الدولارات :

١- تصل مساحة التوسعة الشمالية للحرم إلى (٧٥٠.٠٠٠) متر مربع ، وسوف تستوعب التوسعة بعد اكتمالها مليوني مصل تقريباً في وقت واحد ، و العمل الآن جار على مدار الساعة ، ويتم الآن تظليل الساحات الشمالية وربطها بالتوسعة الأولى والمسعى من خلال جسور متعددة لإيجاد

(١) تاريخ الكعبة المشرفة ص ١٨٠ - ١٨٦ .

التواصل الحركي المأمون للحشود ، في منظومة متكاملة ، على أحدث وأرقى النظم الكهربائية والميكانيكية وسيكون مشابهًا للطراز المعماري الحالي للمسجد الحرام ومتناسقاً معه ، كما يجري العمل على إكمال المنارات التي ستُضاف للتوسعة ، وعددها أربع منارات : منارتان رئيستان على الباب الرئيس - باب الملك عبد الله - ، ومنارتان إضافيتان : الأولى في الركن الشمالي الشرقي ، والثانية جهة الركن الشمالي الغربي ، ليُصبح عدد منارات المسجد الحرام بعد اكتمال التوسعة (١٣) منارة.

٢- ويتضمن المشروع أيضاً توسعة صحن المطاف بهدم التوسعة القديمة ، وتوسيع الحرم من الجهات الثلاث ، عدا جهة المسعى ، وإعادة بناء وتأهيل الأروقة المحيطة به في كافة الأدوار لتستوعب (١٣٠.٠٠٠) طائف في الساعة ، بدلاً من (٥٢.٠٠٠) طائف في الساعة إن شاء الله تعالى[١].

نسأل الله عز وجل أن يحفظ هذه البلاد الطاهرة ، ويجزل لولاتها الأجر والمثوبة على جهودهم الجليلة في خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الإسلام والمسلمين ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، والحمد لله.

---

(١) موقع ويكيبيديا ، ومواقع أخرى ذات صلة بالموضوع.

المبحث الأول : المسجد الحرام في القرآن الكريم

إذا أطلق المسجد الحرام فالمراد منه في الاستعمال الغالب هو المسجد المعروف المحيط ببيت الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء :١] ، وكما في الصحيح عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال : «سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام»(١) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : «وهو مسجد مكة(٢) ، وقال القرطبي رحمه الله : إنه المسجد نفسه ، وهو ظاهر القرآن ؛ لأنه لم يذكر غيره»(٣) ، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : «أراد المسجد المحيط بالكعبة نفسها». ورجحه الطبري وقال : «والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه»(٤) ، وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : «المسجد

---

(١) صحيح البخاري ١/١٧٩٤رقم ٣٥٧٠ ، صحيح مسلم ١/١٤٥ رقم ١٦٢/٢٦٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٥ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٣٣ .
(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ١٤/٤٢٠ ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٢٢٤ .

الحرام ؛ خصه الله تعالى بما جاء في قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران : ٩٦ - ٩٧]. فذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه : أول بيت وضع للناس ، ومبارك ، وهدى للعالمين ، وفيه آيات بينات ، ومقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، والحج والعمرة إليه»[(١)] ، وكان صلى الله عليه وسلم نائماً في بيت أم هاني رضي الله عنها ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[(٢)] يعني المسجد الذي حول الكعبة .

وقد يطلق ويراد به عين الكعبة كما قال تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾[البقرة : ١٤٤] ، والظاهر - والله أعلم - في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح :٢٧] أنه المسجد الحرام المعروف المحيط بالكعبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنفال : ٣٤] أي : وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٣٢١/٨ .

(٢) سيأتي تخريجه في ص ١٢٤ وما بعدها.

الحرام أي الذي ببكة ، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به ؛ ولهذا قال : ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ ، أي : هم ليسوا أهل المسجد الحرام ، وإنما أهله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[التوبة : ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧](١) ، وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة : ٢١٧] : «إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصابَ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، والشرك أشد منه»(٢).

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة كلها داخل حدودها ، كما في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[البقرة : ١٩٦]

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥١ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٥٧٥ .

والمراد به أهل مكة ، قال ابن جرير الطبري : «بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به»[١] ، وقال ابن عطية تعقيباً على كلام ابن جرير : «وليس كما قال : فقال بعض العلماء : من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري ، ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي»[٢].

و قال الشنقيطي رحمه الله : «وأظهر أقوال أهل العلم عندي في المراد بحاضري المسجد الحرام : أنهم أهل الحرم ومن بينه وبينه مسافة لا تقصر فيها الصلاة ؛ لأن المسجد الحرام ، قد يطلق كثيراً ويراد به الحرم كله . ومن على مسافة دون مسافة القصر ، فهو كالحاضر ، ولذا تسمى صلاته إن سافر من الحرم ، إلى تلك المسافة صلاة حاضر ، فلا يقصرها ، لا صلاة مسافر ، حتى يشرع له قصرها فظهر دخوله في اسم حاضري المسجد الحرام ، بناء على أن المراد به جميع الحرم ، وهو الأظهر خلافاً لمن خصه بمكة ، ومن خصه بالحرم ، ومن عممه في كل ما دون الميقات»[٣] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] ، قَالُوا : والمراد بالمسجد : جميع الحرم كله لكثرة

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ٣/ ٤٣٨ ، تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٤٠ ، وانظر المحمل والحج ص ١٤٥ .

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢١٧ .

(٣) أضواء البيان ٥/ ١٢٤ .

إطلاقه عليه في النصوص»[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ الآية [التوبة: ٢٨]. ذكر ابن جرير الطبري عن عطاء بن أبي رباح: «الحرمُ كله قبلةٌ ومسجد. قال: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ لم يعن المسجدَ وحده، إنما عنى مكة والحرم». قال ذلك غير مرَّةٍ[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[التوبة: ٧] قال ابن عباس: «يعني: أهل مكة»[3].

قال ابن كثير: «وقد أنجز الله هذا الوعد من منع المشركين من دخول المسجد الحرام، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن تجلى اليهود والنصارى منها، ولله الحمد والمنة. وما ذاك إلا تشريف أكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة المباركة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً صلوات الله وسلامه عليه»[4].

---

(١) أضواء البيان ٢/٧٥.
(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ١١/٣٩٨.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٧٥٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٣٨٩.

وكـذا قولـه تعـالى : ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ١٩١] ، كما جاء في الصحيحين : «إن هذا البلـد حرّمـه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامـة ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، وإنما ساعتي هـذه ، حَـرَام بحرمـة الله إلى يـوم القيامة ، لا يُعْضَد شجره ، ولا يُخْتَلى خَـلاه . فـإن أحـد تـرخص بقتـال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقولـوا : إن الله أذن لرسـوله ولم يـأذن لكم»[١] ، يعني بذلك - صلوات الله وسلامه عليه - قتالَه أهلها يومَ فـتح مكة ، فإنه فتحها عنوة ، وقتـل رجـالاً مـنهم عنـد الخَنْدمَـة[٢] ، وقيـل : صلحاً؛ لقوله : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليـه داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن»[٣] ، وأما قوله تعالى ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [الفتح: ٢٥] فالظاهر أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه منعوا من دخـول مكـة ، وهـذا لا يمنـع أن يكـون

(١) تفسير القـرآن العظـيم ١/٥٢٥ ، وانظـر الحـديث في صـحيح البخـاري ١/١٥٣١ رقـم ٣١٨٩ ، صحيح مسلم ٢/٩٨٦ رقم ١٣٥٣/ ٤٤٥ .

(٢) الخندمة : أحد جبال مكة ، وهو المستعلي على أبي قبيس ، على فـم شـعب أبي طالـب ، مـن ناحية المشرق ، وهو جبل أحمر محجر فيـه صـخرة كبيرة بيـضاء كأنهـا معلقـة . معجـم مـا استعجم ٢/٥١٢ ، الروض المعطار في خبر الأقطار ١/٢٢٣ .

(٣) سنن أبي داود ٣/١٦٢ رقم ٣٠٢٢ ، والحديث حسنه الألباني انظر صحيح وضـعيف سـنن أبي داود ٧/٢٢ رقم ٣٠٢٢ .

المراد من المسجد هو الحرم المكي الشريف ، إذ الصد عن دخول مكة صد عن المسجد الحرام .

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به الكعبة المشرفة بيت الله الحرام كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة : ١٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[البقرة : ١٤٩- ١٥٠] ، فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء فأنزل الله : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ ﴾ إلى الكعبة إلى الميزاب ، يَؤُم به جبرائيل عليه السلام»(١).

وروى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قمطة (٢) قال : «رأيت عبد الله بن عمرو جالسا في المسجد

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥٩ .

(٢) يحيى بن قمطة حجازي ، روى عن عبد الله عمر وعبد الله بن عمرو ، روى عنه يعلى بن

الحرام، بإزاء الميزاب، فتلا هذه الآية: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ قال: نحو ميزاب الكعبة»، ثم قال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»[١].

ورواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن عرفة، عن هُشَيْم، عن يعلى بن عطاء به[٢]، وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات - أي شطر المسجد الحرام -، فقيل: تأكيد لأنه أول ناسخ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره، وقيل: بل هو منزل على أحوال، فالأمر الأول: لمن هو مشاهد الكعبة، والثاني: لمن هو في مكة غائباً عنها، والثالث: لمن هو في بقية البلدان. وقال القرطبي: «الأول: لمن هو بمكة، والثاني: لمن هو في بقية الأمصار، والثالث: لمن خرج في الأسفار»، ورجح هذا الجواب القرطبي[٣]، وقيل: «إنما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق، فقال أولاً: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها؛ وقال

=

عطاء. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/١٨١، الثقات لابن حبان ٥/٥٢٩.

(١) المستدرك ٢/٢٦٩ رقم ٣٠٦٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ٢/٦٦١، وانظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/١٦٨.

في الأمر الثاني : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فذكر أنه الحق من الله وارتقى عن المقام الأول ، حيث كان موافقاً لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم فبين أنه الحق أيضاً من الله يحبه ويرتضيه ، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم ، وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة ، وكذلك مشركوا العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم التي هي أشرف ، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار ، والله سبحانه وتعالى أعلم»(١) .

وكذا قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ الآية [المائدة : ٢] فالظاهر أن المراد منه البيت الحرام ، فقد رَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي سَبَبِ نزولِ هَـذِهِ الآيَـةِ عَـن زَيـدِ بـن أَسلَمَ ، قَالَ : «كَانَ رَسول الله صَلى الله عليهِ وَسَلم وَأَصحابه بِالحديبية حِين صدهم المشرِكون عنِ البيت»(٢) . قال ابن كثير : أي : لا يحملنكم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٦٣ .
(٢) أضواء البيان ١/٣٢٨ .

بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام ، وذلك عام الحديبية[١].

والظاهر أن المراد من المسجد الحرام في قوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾الآية [التوبة : ١٩] الكعبة المشرفة أيضاً ، وعمارته : معاهدته والقيام بمصالحه»[٢] ، والله أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/٩١ .

المبحث الثاني : مضاعفة الأجر في المسجد الحرام

المسجد الحرام خصه الله تعالى بخصائص وفضائل اكتسبها من البقعة المباركة التي في وسطه وهو ما جاءَ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾الآية [آل عمران: ٩٧]. فذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه : أول بيت وضع للناس ، ومبارك ، وهدى للعالمين ، وفيه آيات بينات ، ومقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، والحج والعمرة إليه ، وآيات أخر(١).

واختص هذا المسجد المبارك بمضاعفة أجر الصلاة فيه دون غيره من المساجد وبيوت الله تعالى ، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»(٢) ، وروى مسلم هذا الحديث أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما(٣).

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) أضواء البيان ٨/٣٢١ .
(٢) صحيح البخاري ١/٥٣٦ رقم ١١٩٠ ، صحيح مسلم ٢/١٠١٢ رقم ١٣٩٤/٥٠٦ ،
(٣) صحيح مسلم ٢/١٠١٣ رقم ١٣٩٥/٥٠٩ .

صلى الله عليه وسلم قال : «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»(١).

في الزوائد : «إسناد حديث جابر صحيح ورجاله ثقات ؛ لأن إسماعيل بن أسد وثقه البزار والدارقطني والذهبي في الكاشف». وقال أبو حاتم : «صدوق ، وباقي رجال الإسناد محتج بهم في الصحيحين»(٢). وصححه الإمام ابن الملقن وابن حجر والسيوطي ، حيث قال ابن الملقن : «وحديث جابر هذا أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح»(٣) ، وقال الشيخ الألباني : «صحيح»(٤).

وعَنِ عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سنن ابن ماجه ١/٤٥٢ رقم ١٤٠٦ ، مسند الإمام أحمد ٣/٣٤٣ رقم ١٤٧٣٥ .

(٢) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للكناني ٢/١٣ رقم ٥٠٠ ، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ٢/٩ .

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن ٩/٥١٧ ، وانظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر ٤/٤٣٩ رقم ٢٠٦٩ ، الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطي ٢/٥٣ رقم ٥١٠٦ .

(٤) صحيح ابن ماجه للألباني ١/٢٣٧ رقم ١١٥٥ ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢١ رقم ١١٧٣ ، صحيح الجامع الصغير ٢/٧١٤ رقم ٧٢٨٥ ، مختصر إرواء الغليل للألباني ١/٢٢٠ رقم ١١٢٩ .

«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في ذلك أفضل من مائة صلاة في هذا»[١] . وحسنه الإمام النووي[٢].

قال القاضي عياض[٣] : «اختلفوا هل هذا مخصوص بصلاة الفرض أو غير ذلك من العبادات؟ فذهب الطحاوي[٤] إلى تخصيص هذا التفضيل بصلاة الفرض، وذهب مطرف[٥] من أصحابنا إلى عموم ذلك في النافلة وغيرها، قال: وجمعة بها خير من جمعة، ورمضان بها خير من رمضان،

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٢/٨٩ رقم ١١٨٣، شرح معاني الآثار للطحاوي ٣/١٢٧ رقم ٤٨٠٠.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩/١٦٤.

(٣) هو العلامة أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، الحافظ الأوحد، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. توفي سنة ٥٤٤هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٢ رقم ١٣٦، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/١٠٠، الأعلام ٥/٩٩.

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، الامام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، توفي سنة ٣٢١هـ. سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧ رقم ١٥، الأعلام ١/٢٠٦.

(٥) هو أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن مسلم الهلالي المديني مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن مالك بن أنس، توفي سنة ٢٢٠هـ. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/١٧٢.

وقد روى عبد الرزاق في تفضيل صوم رمضان بالمدينة ما فيه حجة لهم»[١].

وقال الإمام النووي : «واعلم أن مذهبنا أنه لا يختص هذا التفضيل بالصلاة في هذين المسجدين بالفريضة ، بل يعم الفرض والنفل جميعاً ، وبه قال مطرف من أصحاب مالك ، وقال الطحاوي : يختص بالفرض وهذا مخالف إطلاق هذه الأحاديث الصحيحة، والله أعلم»[٢].

والمساجد التي تبنى وتعد للصلاة فيها نوعان : نوع مخصص من عند الله تعالى ، ونوع مخصص يضعه البشر ويبنونه ويعتمدونه مسجداً ، فأما الأول فهو ثلاثة مساجد لا تزيد : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ، هذه ثلاثة مساجد وضعها الله عز وجل وجعل لها مزية خاصة ، فمنها أن المسجد الحرام هو أفضلها والصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، ثم المسجد النبوي والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، ثم المسجد الأقصى والصلاة فيه بخمس مائة صلاة[٣].

قال المباركفوري : «كأن هذا القائل – لعله يريد القاري صاحب

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض ٤/٢٦٥ ، وانظر المنتقى شرح الموطأ للباجي ١/٤٧٠ رقم ٤١٤ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩/١٦٤ .

(٣) الشرح المختصر على بلوغ المرام لابن عثيمين ٣/٧٥ .

المرقاة الذي نقل عنه - لم يقف على الأحاديث التي تدل على أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي ، فمنها حديث عبد الله بن الزبير أخرجه الإمام أحمد وصححه ابن حبان من طريق عطاء عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا». وفي رواية ابن حبان : صلاة في ذلك أفضل من مائة صلاة في مسجد المدينة ، قال ابن عبد البر : اختلف على ابن الزبير في رفعه ووقفه ، ومن رفعه أحفظ وأثبت ، ومثله لا يقال بالرأي انتهى . ومنها حديث جابر رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه مرفوعاً : «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه». قال الحافظ في الفتح : «وفي بعض النسخ : من مائة صلاة فيما سواه . فعلى الأول معناه فيما سواه إلا مسجد المدينة ، وعلى الثاني معناه من مائة صلاة في مسجد المدينة . ورجال إسناده ثقات ، لكنه من رواية عطاء في ذلك عنه . قال ابن عبد البر : جائز أن يكون عند عطاء في ذلك عنهما ، وعلى ذلك يحمله أهل الحديث ، ويؤيده أن عطاء إمام واسع الدراية معروف بالرواية عن جابر وابن الزبير .

ومنها حديث أبي الدرداء أخرجه البزار والطبراني مرفوعاً : «الصلاة

في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمس مائة صلاة قال الحافظ في الفتح : قال البزار إسناده حسن»[١].

وقال ابن بطال : «احتج لهم الطحاوي بأن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». أن المراد به الفريضة لا النافلة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»[٢]. وقال الحافظ ابن حجر : «واستدل به على تضعيف الصلاة مطلقا في المسجدين ، وقد تقدم النقل عن الطحاوي وغيره أن ذلك مختص بالفرائض ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» ، ويمكن أن يقال: لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه ، فتكون صلاة النافلة في بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما ، وكذا في المسجدين وإن كانت في البيوت أفضل مطلقاً ، ثم إن التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب ، ولا يتعدى إلى الإجراء باتفاق العلماء ، كما نقله النووي وغيره ،

---

(١) مسند البزار ١٠/ ٧٧ رقم ٤١٤٢ ، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/ ٦٧ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١/ ٣٥٥ .

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري ١/ ٣٠٨٠ رقم ٦١١٣ ، صحيح مسلم ١/ ٥٣٩ رقم ٧٨١/ ٢١٣ ، وانظر شرح البخاري لابن بطال ٥/ ١٩٥ .

فلو كان عليه صلاتان فصلى في أحد المسجدين صلاة لم تجزه إلا عن واحدة ، والله أعلم»[١].

وقال المناوي[٢] : «ولا فرق في التضعيف بين الفرض والنفل والتخصيص بالفرض لا دليل عليه»[٣].

وقال الشيخ محمد صالح بن عثيمين : «الأفضل أن تكون الرواتب في البيت أفضل من كونها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا وهو في المدينة ، والصلاة في مسجده خير من ألف صلاة إلا المسجد الحرام ، وكثير من الناس الآن يفضل أن يصلي النافلة في المسجد الحرام دون البيت ، وهذا نوع من الجهل فمثلاً إذا كنت في مكة وأذن لصلاة الفجر وسألك سائل هل الأفضل أن تصلي الراتبة في البيت أو أذهب إلى المسجد الحرام؟ قلنا : الأفضل في البيت ، سنة الضحى أفضل في المسجد الحرام أم في البيت؟ قلنا : في البيت ، التهجد أفضل في المسجد الحرام أم في البيت؟ قلنا : في البيت وهلم جرا ، إلا

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣/٦٧ .

(٢) هو الإمام الحافظ زين الدين محمد عبد الرءوف المناوي ، من كبار العلماء بالدين والفنون ، انزوى للبحث والتصنيف ، وتوفي سنة ١٠٣١هـ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني ١/٣٤١ رقم ٢٣٨ ، الأعلام ٦/٢٠٤ .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢/١٩٧ .

الفرائض فالفرائض لابد أن تكون في المساجد»[١].

فلو جاء الرجل إلى المسجد الحرام فصلى الفريضة مع الجماعة ، ثم خرج وصلى النافلة في بيته فإنه يحصل أكثر من الصلاة في المسجد الحرام ، والنبي صلى الله عليه وسلم هكذا كان يفعل؛ لأنه كان يصلي في بيته النافلة ، ثم يخرج وتقام الصلاة ، ثم إذا صلى انصرف إلى بيته وصلى صلوات الله وسلامه وبركاته عليه الراتبة في البيت[٢].

علماً بأن المضاعفة هنا ذاتية وليست عددية ، بمعنى أنه لو أن إنساناً عليه صلاتان فائتتان ، وصلى صلاة الفريضة في المسجد الحرام لصلاة يومه ، وكانت تعدل ألف صلاة ، فإنها لا تسقط الفريضتين اللتين في ذمته لله ؛ لأن الصلاة التي وصلت إلى الألف ، إنما هو في ذاتها وفي ثوابها وفي نورها وفي بركتها ، أما إجزاؤها عن صلوات أخرى فلا[٣].

وقال الإمام النووي في بيان المكان الذي تشمل هذه المضاعفة : «فإذا عرفت حال المسجد فينبغي أن تعتني بالمحافظة على الصلاة في الموضع الذي كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الحديث السابق «صلاة

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/١٣٠٠ رقم ١٢٣٠ ، وانظر شرح سنن أبي داود للعباد ٦/٢٣٠ .

(٢) انظر شرح سنن أبي داود للعباد ٤/٧ .

(٣) انظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم ٥٢/١٠ .

في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة» إنما يتناول ما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم ، لكن إن صلى في جماعة فالتقدم إلى الصف الأول ثم ما يليه أفضل فليتفطن لهذا ، والله أعلم»[١].

وهذا القول ينطبق أيضاً في المسجد الحرام ، فقد قال الإمام السيوطي في قوله صلى الله عليه وسلم : «صلاة في مسجدي هذا» : هو خاص بما كان مسجداً في زمنه دون ما زيد بعده ، بخلاف مسجد الحرام فإنه يشمل كل الحرم[٢].

وقال المباركفوري[٣] نقلاً عن النووي : «ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه صلى الله عليه وسلم دون ما زيد فيه بعده ؛ لأن التضعيف إنما ورد في مسجده وقد أكده بقوله هذا ، بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة بل صحح النووي أنه يعم الحرم»[٤].

وقال الخطيب التبريزي[٥] : «لم يختص التضعيف بما كان في زمنه صلى

---

(١) المجموع شرح المهذب ٨/٢٧٧ .

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ١/١٥٦ رقم ٤٦٢ .

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٤٦ .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١/٣٥٥ ، وانظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢/٣ .

(٥) هو ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المباركفوري العمري ، من محدثي الهند توفي سنة ٧٤١هـ .الأعلام ٦/٢٣٤ ،وانظر أرشيف ملتقى الحديث (٥)

الله عليه وسلم ، وإليه ذهبت الحنفية كما صرح به في الدر المختار ، قال ابن عابدين[١] : وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «صلاة في مسجدي هذا» ، ومعلوم أنه قد زيد في المسجد النبوي ، فقد زاد فيه عمر ثم عثمان ثم الوليد ثم المهدي ، والإشارة بهذا إلى المسجد المضاف المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن جميع المسجد الموجود الآن يسمى مسجده صلى الله عليه وسلم ، فقد اتفقت الإشارة والتسمية على شيء واحد ، فلم تلغ التسمية فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث فيما زيد فيه»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين : «عرفنا أن التفضيل لا يشمل بقية مساجد المدينة ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه من مساجد الدنيا إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة ، إذاً صلاة في المسجد الحرام أفضل من سائر المساجد سوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمائة ألف صلاة ، ولا يرد فيه الكلام السابق ، يعني التوسعات وهذه كلها داخلة ؛ لأنه ما أشير إليه ، الأمر

=

٧٧٣/٣٩ ، أرشيف المجلس العلمي ٣/٧٦٣٩ .

(١) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي: فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره ، توفي سنة ١٢٥٢ هـ .الأعلام ٦/ ٤٢ .

(٢) مشكاة المصابيح للتبريزي ٢/ ٨٠٥ رقم ٦٩٧ .

الثاني : أن مكة كلها مسجد ، وكلها محل للتضعيف ، الأدلة على هذا هو قول الجمهور على كل حال ، والأدلة عليه كثيرة»[١]. وقال أيضاً رحمه الله : «هذه المساجد لو زيد فيها فإن الزيادة لها حكم المزيد ولو بلغت ما بلغت فمثلا الزيادة التي حصلت في المسجد الحرام حكمها حكم المسجد الحرام الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والزيادة التي حصلت في المسجد النبوي حكمها حكم المسجد أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا لما زاد عثمان رضي الله عنه الزيادة من نحو القبلة صار المسلمون يصلون في هذه الزيادة ويرون أن الصف الأول هو الأول في هذه الزيادة ولا يتأخرون فيصلون في المسجد الذي كان معروفاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الزيادة لها حكم المزيد ، وكذلك يقال في المسجد الأقصى ما زيد فيه فله حكم الأصل»[٢].

فإذا سئل عن سبب هذه المضاعفة فنجد أن اختيار هذا المكان له لم يكن عفواً ، بل هو من الله تعالى ، ثم إن إقامته وبناؤه جاء عن طريق رسل الله وليس عامة الناس ، وهو قبلة المسلمين من أقطار المعمورة ، والله أعلم[٣].

إذاً هذا الفضل والمضاعفة تحصل في الزيادات على التي زيدت

---

(١) شرح بلوغ المرام (كتاب الحج) للخضيري ٢١٦/١ .

(٢) الشرح المختصر على بلوغ المرام ٧٥/٣ .

(٣) انظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم ١٥٩/٤ .

للضرورة[١] ، ويشمل هذا الفضل أيضاً ساحات المسجد الحرام المحيطة به ، وأنها من المسجد إذا كانت الصفوف متصلة إليه ، فالصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، لكن هذا كما هو معلوم فيما يتعلق بصلاة الجماعة ، كل صف أفضل من الذي يليه ، وأما من حيث التضعيف فإن كل ما يقال له مسجد سواء كان مغطى أو مكشوفاً تحيط به الأسوار والأبواب ، فإنه يعتبر مسجداً ، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، وفضل الله واسع ، والحمد لله[٢].

والمراد بمضاعفة الأجر في المسجد الحرام عند جمهور أهل العلم جميع الحرم ، فيدخل في ذلك منى ومزدلفة وجميع المساجد التي في داخل حدود الحرم ، ولا سيما وقد اجتمع للحاج في هذا المكان وفي هذا الوقت شرف الزمان وشرف المكان ، ولكن الصلاة عند الكعبة أفضل ، وأما بالنسبة للحرم المدني الشريف فما أحاطه السور هو الحرم دون بقية مساجد المدينة النبوية[٣].

تقول اللجنة الدائمة للإفتاء : في المسألة خلاف بين أهل العلم والأرجح أن المضاعفة للثواب تعم الحرم كله ؛ لأنه كله يطلق عليه المسجد الحرام في القرآن والسنة.

وأما السيئات فلا تضاعف عدداً لا في الحرم ولا غيره ، وإنما تضاعف

---

(١) انظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم ١١/٥٢ .

(٢) انظر شرح سنن أبي داود للعباد ٢٤/٥٥ .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٥/١٧٦ ، مجموع فتاوى ابن باز ١٧/١٤٦ .

من جهة الكيفية ، وذلك باختلاف شدة الإثم وعظم الجريمة ، بسبب الزمان والمكان في رمضان والحرم الشريف والمدينة المنورة وأشباه ذلك ؛ لقول الله سبحانه : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٠] ، وللأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك[١].

ويقول سماحة الشيخ ابن باز : «في المسألة قولان لأهل العلم ، وأصحهما أن المضاعفة تعم جميع الحرم لعموم الآيات والأحاديث الدالة على أن الحرم كله يسمى المسجد الحرام ، منها قوله جل وعلا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] ، والمسجد الحرام هنا يعم جميع الحرم وفي معناها آيات أخرى.

لكن الصلاة في المسجد الذي حول الكعبة لها مزية فضل من وجوه كثيرة منها : كثرة الجمع ، والقرب من الكعبة ، وإجماع العلماء على مضاعفة الصلاة فيه ، بخلاف المساجد الأخرى ففيها الخلاف الذي أشرنا إليه ، والله ولي التوفيق»[٢].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٦/٢٢٣ .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ١٢/٢٣٠ .

المبحث الثالث : شد الرحال إلى المسجد الحرام

المسجد الحرام هو أبرز المساجد وأشرفها على الإطلاق ، فهو قبلة المسلمين ورمز التوحيد ، والحرم الآمن الذي تهوي إليه الأفئدة والقلوب ، وهذه المضاعفة العظيمة للصلاة التي تقدم الحديث عنها دليل على فضل المساجد الثلاثة ، وما جعل الله فيها من الخير العظيم ، ولهذا أبيح السفر إليها للتعبد فيها ، أما غيرها من البقاع فلا يجوز شد الرحال إليها ولو كانت المساجد ، مع فضلها وأنها أحب البقاع إلى الله تعالى.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى»(١).

الرحال : بِالمهملة جمع رحل ، ورحل البعير كالسَّرجِ للفرسِ ، وشد الرحال كناية عن السفر ، لا مطلق الركوب بلا سفر ، وسمي به لأنه لازمه ، فلا يرد الإشكال بذهاب النبي صلى الله عليه وسلم أو أهل المدينة إلى مسجد قباء ، إذ مثله لا يسمى سفراً(٢) ، والنفي في الحديث بِمعنى

(١) صحيح البخاري ١/٥٣٥ رقم ١١٨٩ ، صحيح مسلم ٢/١٠١٤ رقم ١٣٩٧/٥١١ .

(٢) حاشية السندي على صحيح البخاري لمحمد عبد الهادي السندي ١/١٧٨ رقم ٤٠٠ ، ١/٤٩٠ رقم ٦٩٣ ، ٣/١٩٨ رقم ١٣٩٩ .

النَّهي ، ونكتة العدول عن النهي إلى النفي لإظهار الرغبة في وقوعه أو لحمل السامع على الترك أبلغ حمل بألطف وجه ، وقال الطبري : «النفي أبلغ من صريح النهي ، كأنه قال لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به ، والله تعالى أعلم»(١).

وقال الإمام النووي : «ومسجد الأقصى وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وقد أجازه النحويون الكوفيون وتأوله البصريون على أن فيه محذوفاً تقديره : مسجد المكان الحرام والمكان الأقصى ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾[القصص:٤٤] أي المكان الغربي»(٢).

قال القاضي عياض : «هذه المساجد وخصوصها بشد الرحال إليها ، لأنها مساجد الأنبياء ، ولفضل الصلاة فيها ، وتضعيف أجرها ، ولزوم ذلك لمن نذره ، بخلاف غيرها مما لا يلزم ولا يباح بشد الرحال إليها إلا لناذر ، ولا لمتطوع لهذا النهى»(٣).

والمراد من النهي عن شد الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث ، هو لقصد الصلاة والعبادة فيها ، وأما قصد غير هذه المساجد الثلاثة لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٤/ ٤٥٣ .
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩/ ١٦٧ .
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٤/ ٢٣٣ رقم ٤٢١ .

أو نزهة فلا يدخل في النهي ، ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال : «سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي»[١] ، وشهر حسن الحديث[٢].

قال المباركفوري : «وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء ، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم ، والثاني أسس على التقوى ، والثالث كان قبلة الأمم السالفة . واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها ، فقال الشيخ أبو محمد الجويني[٣] : يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث ، وبه قال عياض وطائفة ، ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار بصرة الغفاري[٤] على أبي هريرة خروجه إلى الطور وقال له : لو

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٦٤ رقم ١١٦٢٧ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/٦٦ .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني شيخ الشافعية ووالد إمام الحرمين وكان إماماً في التفسير والفقه والأدب ، مجتهداً في العبادة ورعاً مهيباً ، توفي سنة ٤٣٨هـ . شذرات الذهب ٣/٢٦٠ .

(٤) بصرة بن أبي بصرة الغفاري ، له ولأبيه صحبة ، معدود فيمن نزل مصر ، أخرج مالك =

أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث ، فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة»[١]. وهذا الحديث صححه ابن حبان ، وقال الألباني : «وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات»[٢].

فدل هذا على أن المقصود بذلك عموم البقع ، وليس المقصود به خصوص المساجد ، فالمستثنى ثلاثة مساجد من عموم البقع وعموم الأراضي ؛ لأن هذا الحديث استدل به بصرة ابن أبي بصرة رضي الله عنه على أبي هريرة رضي الله عنه فيما يتعلق بالذهاب إلى الطور ، وقال : لو علمت قبل أن تذهب لم تذهب . والحديث أورده النسائي من حديث أبي هريرة عن بصرة بن أبي بصرة رضي الله عنه ، وذلك في حديث طويل بسند صحيح عند النسائي ، وهذه المساجد الثلاثة هي مساجد الأنبياء المتميزة على غيرها ، وهي التي يسافر من أجلها ، أما غيرها فإنه لا يسافر من أجله ، ولا تشد الرحال من أجله ، ولم يأت شيء يدل على خلاف ما

=

وأصحاب السنن حديثه وإسناده صحيح . الإصابة ١/٣٢٠رقم ٧١٨ .

(١) شرح سنن ابن ماجة للسيوطي وآخرين ١/١٠٢ رقم ١٤٠٩ ، وانظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١/٣٥٦ .

(٢) صحيح ابن حبان ٧/٧ رقم ٢٧ ٧٢ ، السلسلة الصحيحة ٣/٧١ رقم ٩٩٧ ، وانظر أحكام الجنائز للألباني ٢/٢٢٦ .

دل عليه هذا الحديث ، وهو قصر السفر للقربة على هذه المساجد الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء[١].

قال الشيخ ابن عثيمين : «أما شد الرحال إلى مسجد فيه علم أو خطيب جيد فلا بأس به ، وشد الرحال إليها لأن للصلاة فيها مزية»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين أيضاً : «وهذه الثلاث مساجد هي التي تشد إليها الرحال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» ، فلو شد الإنسان الرحل إلى مسجد في الرياض مثلاً قلنا : هذا حرام ولا يحل ؛ لأنه لا مساجد تشد إليها الرحال إلا المساجد الثلاثة ، ولو أراد الإنسان أن يشد الرحل إلى مسجد في مكة غير المسجد الحرام قلنا : هذا حرام ، وكذلك لو أراد أن يشد الرحل إلى مسجد في المدينة أو مسجد في فلسطين غير هذين المسجدين قلنا : هذا حرام ، لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[٣].

ثم إن سبب مضاعفة الصلاة في هذه المساجد الثلاثة وجواز شد

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ٣٧٦/١٠ .

(٢) الشرح المختصر على بلوغ المرام ٦٠/٧ رقم ٥٤ .

(٣) الشرح المختصر على بلوغ المرام ٧٥/٣ ، وانظر شرح كتاب الحج من صحيح البخاري ٣٩/١ .

الرحل إليها ؛لأنها هي المساجد المقطوع بعينها ، ولو جئت إلى أي مسجد في العالم ؛ كمسجد موسى أو مسجد هارون أو مسجد نوح ، فكلها خاضعة للنظر من حيث سبب تسميتها ومن قام على بنائها ، وأما الثلاثة فهي مقطوع بها ؛ ولأن هذه الثلاثة اشتركت في عناصر أساسية : اشتركت في كون اختيار مكانها من الله ، فالله تعالى هو الذي عين أماكن المساجد الثلاثة ، ثم قام على بنائها أنبياء ثلاثة : فالكعبة المشرفة بناها إبراهيم ومعه إسماعيل عليهما السلام ، والمسجد النبوي بناه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه رضي الله عنهم ، فكانوا يحملون الحجارة ويحمل معهم ، وكذلك مسجد بيت المقدس بناه نبي الله داود عليه السلام ، فكون اختيار المكان ، وإقامة البناء والإشراف عليه من رسل الله بتوجيه من الله جعل لهذه المساجد فضيلة على غيرها ، والحمد لله رب العالمين[١] .

---

(١) انظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية ١٠/١٨٣ .

المبحث الرابع :
إجزاء الصلاة في المسجد الحرام للناذر للصلاة في بيت المقدس

مما تميز به المسجد الحرام من الأحكام ما رواه أبو داود والبغوي والحاكم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رجلاً قام يوم الفتح ، فقال : يا رسول الله ، إني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة ، أن أصلي في بيت المقدس ركعتين ، قال : «صل هاهنا» ، ثم أعاد عليه ، فقال : «صل هاهنا» ، ثم أعاد عليه ، فقال : «شأنك إذاً» ، قال أبو داود :«روي نحوه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم»[(١)].

وروى عبد الرزاق عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء بن أبي رباح قال : «جاء الشريد[(٢)] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ،

---

(١) سنن أبي داود ٣/٢٣٦ رقم ٣٣٠٥ ، ٢٣/١٨٦ رقم ١٤٩١٩ ، شرح السنة (٥١٦) ١٠/٣٠ ، المستدرك ٤/٣٣٨ رقم ٨٧٣٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص وصححه الألباني ، انظر مختصر إرواء الغليل رقم ٩٧٢ .

(٢) هو الشريد بن سويد الثقفي ، قال ابن السكن : له صحبة حديثه في أهل الحجاز ، وقال =

إني نذرت إن فتح الله عليك أن أصلي في بيت المقدس فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ها هنا فصل» ثم عاد حتى قال مثل مقالته هذه ثلاث مرات ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «ها هنا فصل» ثم قال له في الرابعة : «اذهب فوالذي نفسي بيده لو صليت ها هنا لأجزأ عنك» ، ثم قال : «صلاة في هذا المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة»[(١)].

قوله : «صل ها هنا» فيه دليل على أن من نذر بصلاة أو صدقة أو نحوهما في مكان ليس بأفضل من مكان الناذر ، فإنه لا يجب عليه الوفاء بإيقاع المنذور به في ذلك المكان[(٢)].

فإذا نذر أن يصلي في المسجد الأقصى ، فإنه يفي بنذره إذا صلى في المسجد الحرام ، أو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهما أفضل منه ، وإن شد الرحل إليه وصلى فيه ، ولم يصل في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو في المسجد الحرام فله ذلك . وقوله في حديث جابر المذكور : «شأنك إذاً» أي : اذهب إذا شئت ، وما دمت عازماً على هذا فلك ذلك ، أي : أنه لا يلزمه أن يصلي هنا ، ولكن الذي أرشده رسول

=

البغوي سكن الطائف والمدينة وله أحاديث . الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣٤٠ رقم٣٨٩٦ .

(١) مصنف عبد الرزاق ٨/٤٥٦رقم ١٥٨٩١ .

(٢) بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار لفيصل بن عبد العزيز الحريملي ٥/٤٥٩ رقم ٤٩٣٤ .

الله صلى الله عليه وسلم إليه يكفيه ويغنيه عن أن يصلي في بيت المقدس ، لكن إن أراد أن يذهب فله أن يذهب ؛ لأنه قال : «شأنك إذاً» أي : إذا كان الأمر كذلك فكما تريد . فالذي أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إليه يغني عنه ، ويريحه من التعب ؛ لأنه سيصلي في المكان الفاضل ، فيكفيه عن المفضول ، لكن لو نذر وهو في بيت المقدس أن يصلي في المسجد النبوي ، أو في المسجد الحرام ، فلا يجزيه أن يصلي هناك[١] ، والله تعالى أعلم.

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ١٧/٣١١ .

الفصل الثالث : فضل ماء زمزم

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : معنى زمزم وفضلـــــه

المبحث الثاني : فوائد ماء زمزم ومشروعية التضلع منه

المبحث الثالث : إبراد الحمى بماء زمزم وحمله إلى البلدان

المبحث الرابع : غسل قلب النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم

المبحث الأول : معنى زمزم وفضلـــــه

أولاً : معنى زمزم ووجه تسميته وظهوره :

ماء زمزم هو الماء الذي يستخرج من البئر التي تقع بمكة المكرمة بجوار الكعبة المشرفة شرقي الحجر الأسود وجنوبي مقام إبراهيم عليه السلام ، وفتحة البئر الآن تحت سطح المطاف على عمق (٢.٥) متراً ، وهو مشهور ومعروف لدى المسلمين ، يتبرك به ويشرب ماؤه ، وينقله الوافدون لأداء المناسك إلى بلدانهم للاستشفاء به.

وهو مشتق من الزمزمة وهو الصوت مطلقاً ، وسمي زمزماً نسبة إلى صوت الماء حين يظهر ، وقيل في اشتقاقه : الزمزم والزمزوم والزمزام : الماء الكثير ، ويقال : وقد زمزم السحاب إذا كثرت ، وسميت بئر زمزم بذلك لأن هاجر عليها السلام زمتها بوضع الأحجار حولها أي سدتها ، وقيل : لأن جبريل عليه السلام صاح عندها بصوت كالزمزمة ، وهي صوت لا تبين حروفه[1] ، وعن مجاهد : «إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة ، والهزمة : الغمز بالعقب في الأرض ، أخرجه الفاكهي بإسناد

(١) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ١/٩٢ ، وانظر مكة المكرمة فضائل وأحكام ص٣٨ .

صحيح عنه»[١].

وزمزم له أسماء عديدة منها : هزمة جبريل وذلك لضرب جبريل المكان برجله فنبع الماء . ومنها : السقيا وطيبة وبرة وركضة جبريل والرواء والمغذية وقرية النمل[٢] ، وكان في الجاهلية يقال لها : شباعة لأن ماءها يروي العطشان ويشبع الغرثان ، والغرثان : الجائع[٣].

ويرجع ظهور ماء زمزم لأول مرة إلى عهد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، عند ما قدم إلى مكة - وهي واد غير ذي زرع - بابنه الرضيع إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ، وتركهما بأمر الله عز وجل في ذلك المكان الخالي من الإنس ، عند ربوة حمراء مدرة ، فجلست ترضعه تحت دوحة بين البئر وبين الصفا ، حتى نفد ما لديها من ماء وزاد ، فجاع ابنها وبدأ يتشحط من شدة الجوع والعطش ، فتركته وبدأت في البحث عن ماء لإنقاذ ابنه من الموت ، فسعت سبع مرات بين جبلي الصفا والمروة - وذلك سعي الناس اليوم بينهما في مناسك الحج والعمرة - حتى سمعت

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣ /٤٩٣ ، وانظر أخبار مكة للفاكهي ٢ /١٠ رقم ١٠٥٦ .

(٢) المخصص ٢ /٤٢٧ ، ٤٤٤ ، ٤ /٤٨٤ ، تاج العروس من جواهر القاموس ٣ /٢٨٩ ، ١٠ /١٦١ ، ١٨ /٣٦١ ، ٣٩ /١٥٣ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١ /٣٨٤ .

صوتاً - وهو صوت جبريل عليه السلام - فقالت : قد أسمع صوتك فأغثني إن كان عندك خير ، فخرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله مكان بئر زمزم ، فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل ، فحاضته[1] أم إسماعيل بتراب ترده ، خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها، فاستقت وشربت ودرت على ابنها ، ثم أذنت لركب من قبيلة جرهم قافلين من الشام ، ليسكنوا معها على هذا الماء ، وهي تريد الأنس بهم ، وكانت جرهم تشرب من ماء زمزم ، فمكثت بذلك ما شاء الله أن تمكث ، فلما استخفت جرهم بالحرم ، وتهاونت بحرمة البيت وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها سراً وعلانية ، وارتكبوا مع ذلك أموراً عظاماً ، نضب ماء زمزم وانقطع ، فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصراً بعد عصر حتى اختفت معالمها ولم يبق لها أثر يعرف[2].

هكذا كانت زمزم لم تزل مدفونة لا يعرف مكانها ، إلى أن أظهرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم بعلامات عرف بها موضعها في رؤيا رآها ، فحفرها وأظهرها ، ومعه ابنه البكر الوحيد وقتئذ الحارث بن عبد المطلب ، وعن محمد بن إسحاق قال : حدثني غير واحد

---

(١) أي جمعته وحاطته . المحكم والمحيط الأعظم ٣/٤٧٠ .

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/١٣١ ، ٢/٣٥ ، وانظر زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص ١٥-١٧ .

من أهل العلم أن عبد المطلب أري في منامه أن يحفر زمزم في موضعها ، الذي هي فيه ، فحفرها بين إساف ونائلة الوثنين اللذين كانا بمكة ، فلما استقام حفرها وشرب أهل مكة ، والحاج منها عفت على الآبار التي كانت بمكة قبلها لمكانها من البيت والمسجد ، وفضلها على ما سواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم في الموضع الذي ضرب فيه جبريل برجله ، فهزمه ونبع الماء منه[(١)].

و لاشك أن عبد المطلب -وهو سيد من سادات مكة الكرماء في ذلك الوقت- قد تجشم هذه المشاق ؛ ليوفر للحجيج حاجتهم من الماء ، وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة ، فإذا جاء الموسم جمعها ثم خلط لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحجاج ، ويطعمهم من التمر ، تقرباً منه لله تعالى وخدمة لضيوف الرحمن ، واستمر عبد المطلب على هذا العمل حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده ابنه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وسقايته كانت في بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة ، ثم أعيد بناء هذه القبة سنة(٨٠٧هـ) إثر سقوطها بعد ما أكلت الأرضة بعض الخشب الذي كان فيها ، ثم تم تعمير البئر في عهد السلطان عبد الحميد خان

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/٣٥ ، وانظر زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص ١٨- ١٩ .

سنة (١٢٠٠هـ)[1].

وفي عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ، أمر جلالته أن يعمل على حسابه الخاص سبيلان أحدهما بالجهة الشرقية مما يلي قبة زمزم ، والثاني بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية لبيت زمزم ، وجعل لهما فوهات متعددة للشرب ، وتم بناء السبيل الأول سنة (١٣٤٥هـ) والسبيل الثاني سنة (١٣٤٦هـ)[2].

وكان ماء زمزم يستخرج من البئر بواسطة الدلو ويوضع في الحنفيات ، فكل حاج يدلي بإنائه داخل الحنفية لكي يشرب منه ، وكان هناك مغاريف مربوطة إلى الحنفيات ، ونظراً لما كان لهذه الطريقة من أضرار صحية ، ونتيجة للتطور الذي تشهده البلاد ارتأت مديرية الأوقاف سنة (١٣٧٣هـ) عمل مظلة أمام البئر يوضع فيها خزانان كبيران بهما صنابير للمياه ، كما تم تركيب مضخة داخل البئر تضخ المياه إلى الخزان العلوي ، ويعتبر هذا الوضع تحولاً كبيراً في تاريخ بئر زمزم ، وبذلك تم تغيير أسلوب استخراج الماء من البئر إلى وضع أفضل من

---

(١) زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٠ ، وانظر فضل ماء زمزم ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/٨٤ ، ٨٥ ، وانظر زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص ٢٤ ، ٤٣ .

حيث الكمية والنظافة ، ثم بسبب تزايد عدد الحجاج عاماً بعد عام ولتوسعة المطاف تم هدم البناء الذي فوق بئر زمزم ، وخفضت فوهة البئر أسفل المطاف ، وأزيلت المظلة لهذا الغرض ، وكان ذلك بين عام (١٣٨١ - ١٣٨٨هـ) في عهد جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان يمكن الوصول إلى البئر عن طريق درج من الجهة الشرقية ، وفي أيام الجُمع ورمضان وشهور الصيف توضع مئات من هذه الدوارق المملوءة بمياه زمزم في منطقة الحصاوي حول المطاف ليشرب منها الزوار[١].

ثانياً : فضل ماء زمزم :

ماء زمزم هو سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً ، ينبع من أرض مباركة في بيت الله الحرام ، وورد في فضل ماء زمزم حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم» ، أخرجه الفاكهي والطبراني[٢] ، وصححه الألباني[٣] ، وأخرج

---

(١) زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص٤٤-٤٨ .

(٢) المعجم الكبير ٩/٣٠٨ رقم ١١٠٠٥ ، والمعجم الأوسط ٤/١٧٩ رقم ٣٩١٢ ، ٨/١١٢ رقم ٨١٢٩ ، وانظر أخبار مكة للفاكهي ٢/٤١رقم ١١٠٦ .

(٣) جامع صحيح الأذكار للألباني ٢/١٢ رقم ٦٠٩ ، وانظر صحيح الجامع الصغير ١/٦٢٧ رقم ٥٦٣٣ .

أحمد والنسائي وابن حبان واللفظ له عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن جبريل حين ركض زمزم بعقبه جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء» قال النبي صلى الله عليه وسلم : «رحم الله هاجر لو تركتها كانت عيناً معيناً» ، قال شعيب الأرنؤوط : «إسناده صحيح على شرط مسلم»(١).

ثم إن ظهور ماء زمزم بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى فيه شرف كبير ، ولو شاء الله تعالى لأمر الماء أن ينبع ويخرج بنفسه ، ولكن لما أراد الله تعالى إظهار شرف هذا الماء ، وعظيم قدر من خرج له ، أمر سيد الملائكة جبريل عليه السلام ، فضرب الأرض بجناحه فخرج هذا الماء المبارك ، في مقر مبارك ، لسيد مبارك بواسطة فعل أمين مبارك ، فكان بذلك زيادة له في التشريف والتعظيم ، والله عز وجل يفضل ما شاء من مخلوقاته(٢).

ومما يدل على فضله شرب الرسول صلى الله عليه وسلم من ماء زمزم ما أخرجه النسائي وابن حبان والطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : «سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماء زمزم فشربه

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/١٢١ رقم ٢١١١٦٣ ، السنن الكبرى للنسائي ٣٩٧/٧ رقم ٨٣١٨ ، صحيح ابن حبان ٩/٢٦ رقم ٣٧١٣ .

(٢) فضل ماء زمزم ص ٦١ ، وانظر ملتقى أهل الحديث (٢) ٦/٤٠٤ .

وهو قائم» صححه الألباني ، وقال شعيب الأرنؤوط : «إسناده صحيح على شرط الشيخين»[١].

ولعل حديث ابن عباس في شربه صلى الله عليه وسلم قائماً محمول على الجواز ، وحديث النهي عن الشرب قائماً محمول على الكراهة ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : «القول بأن يشرع شرب ماء زمزم واقفاً ليس بصواب ؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم إنما شرب واقفاً لضيق المكان ، فإن الدلو إذا رفع للنبي صلّى الله عليه وسلّم فالمكان واسع ولكنه لو جلس لضاق المكان»[٢].

وروى الشيخان وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه : «ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يستقون على زمزم فقال : «انزعوا يا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم» فناولوه دلواً فشرب منه»[٣].

---

(١) المجتبى من السنن ٥/٢٣٧ رقم ٢٩٦٥ ، صحيح ابن حبان ٩/١٤٥ رقم ٣٨٣٨ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤٠ رقم ١٢٤١١ ، التعليقات الحسان على ابن حبان للألباني ٦/١٦٥ رقم ٣٨٢٧ .

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع ٧/٣٤٨ .

(٣) صحيح البخاري ١/٧٥٠ رقم ١٦٣٧ ، صحيح مسلم ٣/١٦٠١ رقم ٢٠٢٧ ، صحيح ابن حبان ٩/٢٥٣ رقم ٣٩٤٤ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية واستسقى فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اسقني» فقال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، فقال صلى الله عليه وسلم : «اسقني» فشرب منه ، ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال : «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم قال : «لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه» وأشار إلى عاتقه»[١].

وقد نال ماء زمزم شرفاً وبركة بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريف الطاهر ، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلواً فشرب ، ثم مج فيها ثم أفرغناها في زمزم ثم قال : «لولا أن تغلبوا عليها لنزعت بيدي».

قال الحافظ ابن كثير: «انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم»[٢].

وروى الإمام أحمد عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بدلو من ماء زمزم فتمضمض فمج فيه أطيب

---

(١) صحيح البخاري ٧٤٩/١ رقم ١٦٣٥ ، صحيح ابن حبان ٢١٤/١٢ رقم ٥٣٩٢ ، صحيح ابن خزيمة ٣٠٦/٤ رقم ٢٩٤٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٧٢/١ رقم ٣٥٢٧ .

من المسك أو قال: مسك، واستنثر خارجاً من الدلو. قال شعيب الأرنؤوط: «حديث حسن»[١].

فازداد ماء زمزم بركة على بركة، ولذة على لذة، وشفاء على شفاء، ونوراً على نور، وطهراً على طهر بمجه صلى الله عليه وسلم في دلو قد أهريق في بئر زمزم، فما أرحمه على أمته، وأرأفه بها، حيث لم يرض بحرمان من يأتي بعده صلى الله عليه وسلم من أمته إلى يوم القيامة من فضل ذلك الماء الطيب الطاهر الشريف، وبركة طهوره صلى الله عليه وسلم.

ويقول بدر الدين العيني[٢] في شربه صلى الله عليه وسلم ماء زمزم: «وروى أحمد بإسناد جيد من حديث جابر في ذكر حجته عليه السلام ثم عاد إلى الحجر ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه ثم رجع فاستلم الركن»، الحديث[٣].

قال أبو حاتم ابن حبان: «كل من كان من ولد هاجر يقال له: ولد ماء السماء؛ لأن إسماعيل من هاجر وقد ربي بماء زمزم وهو ماء السماء

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣١٨/٤ رقم ١٨٨٩٤ .

(٢) هو أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، العينى الحنفي مؤرخ، علامة من كبار المحدثين، توفي سنة ٨٥٥هـ. الأعلام ١٦٣/٧ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥٨/١٥ .

الذي أكرم الله به إسماعيل حيث ولدته أمه هاجر فأولادها أولاد ماء السماء»(١).

و من فضائل ماء زمزم أنه يقوم مقام الغذاء في تقوية الجسم ، ويمكن لشاربه الاستغناء به عن الطعام ، ولكن مع صدق النية ، كما حدث مع هاجر حينما تركها زوجها سيدنا إبراهيم عليه السلام ووضع عندها جراباً ـ وعاء من جلد ـ وفيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، حيث جعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء ، عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال : بجناحيه حتى ظهر الماء ، قال : فجعلت تشرب من الماء حتى در لبنها على صبيها ، وهكذا جعل الله تعالى ماء زمزم غذاء لأم إسماعيل وابنها عليهما السلام.

وعلى ذلك يستحب شرب ماء زمزم لكل مسلم في جميع الأحوال ويشرع ذلك للحاج والمعتمر خاصة ؛ لأن شربه من سنن الحج لفضله وبركته(٢).

---

(١) صحيح ابن حبان ١٣/ ٤٥رقم٥٧٣٧ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٣١٦ ، وانظر ملتقى أهل الحديث (٢) ٢ ٦/٤٠٤.

وكما في قصة إسلام الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه حيث قال : «وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر : فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام قال : فقلت السلام عليك يا رسول الله ، فقال: «وعليك ورحمة الله» ثم قال : «من أنت ؟» قال : قلت : من غفار ، قال فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته ، فقلت في نفسي كره أن انتميت إلى غفار ، فذهبت آخذ بيده فقدعني صاحبه وكان أعلم به مني ، ثم رفع رأسه ثم قال : متى كنت ههنا؟ قال : قلت : قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم قال : فمن كان يطعمك؟ قال: قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن[١] بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع[٢] قال : «إنها مباركة إنها طعام طعم» ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وانطلقت معهما ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلته بها». الحديث ، رواه مسلم وابن

---

(١) العكنة : الطي في البطن من السمن والجمع عكن مثل غرفة وغرف ، وربما قيل أعكان وتعكن البطن صار ذا عكن . . النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٩٢ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٦/٣٠٥ .

(٢) سخفة الجوع ما ينشأ عنه من رقة وهزال . النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٨٨٩ ، المعجم الوسيط ١/٢٢١ .

حبان[١].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في فضل هذا الماء المبارك : «سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً ، وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً ، وأنفسها عند الناس ، وهو هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأبى ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة ، ليس له طعام غيره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنها طعام طعم» . وزاد غير مسلم بإسناده : «وشفاء سقم»»[٢].

ومن فضائل ماء زمزم أن الدعاء بعد شربه مستجاب بإذن الله تعالى ، فقد نقل النووي عن الحسن رحمه الله أن الدعاء يستجاب هنالك في خمسة عشر موضعاً : في الطواف ، وعند الملتزم ، وتحت الميزاب ، وفي البيت ، وعند زمزم ، وعلى الصفا والمروة ، وفي المسعى ، وخلف المقام ، وفي عرفات ، وفي المزدلفة ، وفي منى ، وعند الجمرات الثلاث ، فمحروم من لا يجتهد في الدعاء فيها[٣].

---

(١) صحيح مسلم ١٩١٩/٤ رقم ١٣٢/٢٤٧٣ ، صحيح ابن حبان ٧٧/١٦ رقم ٧١٣٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣٥٦/٤ ، وانظر الحديث بلفظ (طعام طعم وشفاء سقم) في مسند الطيالسي ٢٥٩/١ رقم ٤٥٩ ، أخبار مكة للفاكهي ٢٩/٢ رقم ١٠٨٠ ، مسند البزار ٣٦٩/٩ رقم ٣٩٤٦ ، السنن الكبرى للبيهقي ١٤٧/٥ رقم ٩٩٣٩ .

(٣) الأذكار النووية ١٩٥/١ .

المبحث الثاني :
فوائد ماء زمزم ومشروعية التضلع منه

أولاً : فوائد ماء زمزم :

ومن فضائل المسجد الحرام ما خصه الله تعالى به من وجود بئر زمزم فيه ، وما جعل الله تعالى لشارب هذا الماء من المنافع والفوائد العظيمة ، فمن شرب زمزم بنية أن يعلِّمه الله علَّمه الله تعالى ، ومن شربه بنية الثبات على الدين ثبته الله سبحانه وتعالى ومن شربه بنية الشفاء من مرض شفاه الله ، أخرج الفاكهي وابن ماجة وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ماء زمزم لما شرب له»(١).

قال الإمام السيوطي : «هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيراً ، واختلف الحفاظ فيه : فمنهم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم من ضعفه ، والمعتمد الأول ، وفي الزوائد : هذا إسناد ضعيف ؛ لضعف عبد الله بن المؤمل ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن

(١) أخبار مكة للفاكهي ٢/٢٦ رقم ١٠٧٦ ، سنن ابن ماجه ٢/١٠١٨ رقم ٣٠٦٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ٥/١٤٨ رقم ٩٩٤٠ .

عباس ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، قال السندي[١]: قلت : وقد ذكر العلماء أنهم جربوه فوجدوه كذلك ». قال الشيخ الألباني : «صحيح»[٢].

وعن الحسن بن عيسى[٣] قال : «رأيت ابن المبارك دخل زمزم فاستقى دلواً واستقبل البيت ثم قال : اللهم إن عبد الله بن المؤمل حدثني عن أبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ماء زمزم لما شرب له» . . . اللهم إني أشربه لعطش يوم القيامة ، فشرب»[٤] . ويقول الإمام السيوطي رحمه الله : «لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ، ثم قال : ورزقت التبحر في سبعة علوم»[٥] ،

---

(١) هو العلامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ، ثم المدني الحنفي ، توفي سنة ١١٣٨هـ . الأعلام ٦/٢٥٣ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١٠١٨ رقم ٣٠٦٢ ، مسند الإمام أحمد ٣/٣٥٧ ، وانظر الجامع الصغير وزياداته ١/٤٤ رقم ١٠٤٣٩ ، صحيح ابن ماجه ٢/١٨٣ رقم ٣٠٥٣ .

(٣) هو أبو علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس الماسرجسي النيسابوري مولى ابن المبارك ، رحل في العلم ولقي المشائخ وكان ديناً ورعاً ثقة ، توفي سنة ٢٤٠هـ . تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٢٧١.

(٤) معجم ابن المقرئ ١/٣٦١ رقم ٣٦١ .

(٥) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ١/١١١ .

وذكر منها الحديث والفقه ، يعني أن الله تبارك وتعالى قد تقبل دعاءه بعد شرب زمزم ، ويحصل الشارب على المقصود إذا أخلص النية ولديه صدق التوجه إليه سبحانه لقضاء حاجته الدينية والدنيوية.

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما المشار إليه آنفاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ماء زمزم لما شرب له ، فإن شربته تستشفي به شفاك الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه» ، قال : وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال : اللهم أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء.

قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي[١]، ولم يخرجاه»[٢]. قال الحافظ المنذري[٣] : «سلم منه فإنه صدوق» وقال : «رواه أحمد بإسناد صحيح»[٤] ، وقال ابن حجر في هذا الحديث : « رجاله

(١) محمد بن حبيب الجارودي ، يروي عن أبي حازم حدثنا عنه عبد الله بن محمد البغوي . الثقات ٩/١١٠.

(٢) المستدرك ١/٤٧٣ رقم ١٧٣٩ .

(٣) هوالحافظ أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ، عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين ، توفي سنة ٦٥٦هـ .طبقات الشافعية الكبرى لابن قاضي شهبة ٢/١١١رقم ٤١٣، الأعلام ٤/٣٠ .

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري ٢/١٣٦رقم ١٨١٦ ، ١٨١٧ .

موثقون»(١).

وقال مجاهد عن ماء زمزم : «إن شربته تريد الشفاء شفاك الله ، وإن شربته تريد أن تقطع ظمأك قطعه الله ، وإن شربته تريد أن يشبعك أشبعك الله ، وهي هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل»(٢).

ويقول الحافظ ابن حجر في الحديث : «إنه حسن مع كونه موقوفاً ، وأفرد فيه جزءاً ، واستشهد له في موضع آخر بحديث أبي ذر رفعه : «إنها طعام طعم وشفاء سقم» ، وأصله في مسلم وهذا اللفظ عند الطيالسي قال : ومرتبة هذا الحديث أنه باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به ، وقد جربه جماعة من الكبار فذكروا أنه صح ، بل صححه من المتقدمين ابن عيينة ، ومن المتأخرين الدمياطي(٣) في جزء جمعه فيه ، والمنذري ، وضعفه النووي»(٤).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/٤٥٩ .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٣١٦ .

(٣) هو الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي ، قال المزي : ما رأيت أحفظ منه ، وقال الذهبي : كان مليح الهيئة حسن الخلق بساماً فصيحاً لغوياً جيد العبارة كبير النفس صحيح الكتب مفيداً جداً في المذاكرة ، توفي سنة ٧٠٥هـ .البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ١/٣٨٣ رقم ١٨٨ .

(٤) تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن الملقن ٢/١٨٩ رقم ١١٤٨ ، وانظر أرشيف ملتقى أهل الحديث (٢) ١٥/٢٣٢ .

وقال الإمام النووي في حديث «ماء زمزم لما شرب له» : «وهذا مما عمل العلماء والأخيار به ، فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها ، قال العلماء : فيستحب لمن شربه للمغفرة أو للشفاء من مرض ونحو ذلك أن يقول عند شربه : اللهم إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ماء زمزم لما شرب له» اللهم وإني أشربه لتغفر لي ولتفعل بي كذا وكذا ، فاغفر لي أو افعل ، أو : اللهم إني أشربه مستشفياً به فاشفني ، ونحو هذا ، والله أعلم»(١).

ويقول العلامة ابن القيم : «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله ، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر ، ولا يجد جوعاً ، ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعون يوماً ، وكان له قوة يجامع بها أهله ، ويصوم ويطوف مراراً»(٢). وقال أيضاً : «ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه ، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها ، آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها – أي الفاتحة - عليها مراراً ، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام ، ثم

---

(١) الأذكار النووية ١/٢٠٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٣٥٦ .

صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع»[١].

وقال أيضاً : «وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أموراً عجيبة ، ولا سيما مدة المقام بمكة فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة مني ، وذلك في أثناء الطواف وغيره فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاة تسقط ، جربت ذلك مراراً عديدة ، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء ، والأمر أعظم من ذلك ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين ، والله المستعان»[٢]. فلا بد إذاً من الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى عند شرب زمزم ، لأنه هو الذي وضع البركة والنفع في هذا الماء ، يذكر عن أبي سليمان الداراني[٣] : «أنه رأى رجلاً بمكة لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام ، فقال له أبو سليمان يوماً : أرأيت لو غارت زمزم أي شيء كنت تشرب؟ فقام وقبل رأسه وقال : جزاك الله خيراً حيث أرشدتني فإني

---

(١) المصدر السابق ٤/١٧٨ .

(٢) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ١/٥٨ .

(٣) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد ، وهو ثقة وله حكايات في الزهد ، توفي سنة ١١٢هـ .تهذيب التهذيب ٦/١٧١ رقم ٣٨٤ ، تقريب التهذيب لابن حجر ٢/٣٤١ رقم ٣٨٣٦.

كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى»[١].

وأما حكم القراءة على ماء زمزم للعلاج فقد ورد عن اللجنة الدائمة للإفتاء : «أنه لا مانع من القراءة فيه للاستشفاء به كغيره من المياه ، بل من باب أولى ؛ لما فيه من البركة والشفاء ، للأحاديث المذكورة»[٢].

وأما ما أثير عن وجود بعض الجراثيم والميكروبات التي تحمل بعض الأمراض إلى هذا الماء المبارك ، فقد ظهر كذب هذا الادعاء بعد التجارب والتحليل الكيماوي له ، فلم يبق بعد ذلك تردد ولا شك عند كل مسلم ، وقد تقدم بيان خصائص وصفات هذا الماء العظيم النافع المفيد الذي لونه كلون جميع مياه الدنيا ، ولكن طعمه يختلف عنها ، لذيذ سائغ للشاربين ، فماء هذه صفاته وهذه مميزاته كيف تثار حوله هذه الشكوك والشبهات ، ولم يثبت قط أن أحداً ممن شرب ماء زمزم أنه قد أصابته الأمراض الخبيثة بسبب وجود الجراثيم فيه ، بل المعروف قديماً وحديثاً أن من شربه بنية الشفاء من الأمراض المختلفة أو نية التوبة والتوفيق أو نية العلم والفهم أو بنية إذهاب الغم والكرب إلى غير ذلك مما شربوه لأجله ، أنهم نالوا بغيتهم وتحصلوا على مطلوبهم ، وإن بئر زمزم في هذه الأزمنة المتأخرة في العهد السعودي الميمون أكثر صيانة وحفظاً ووقاية من الأزمنة

(١) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ٢/١٢٤ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣١٠ .

الماضية[١] ، بحمد الله وتوفيقه.

وأختم حديثي عن فوائد ماء زمزم وبركته بقصة واقعية ذكرها بعض العلماء : «هناك امرأة مغربية ذهبت إلى أطباء الدنيا ، وقرروا أن عندها سرطاناً ، وأن الحالة ميئوس منها ، وقالوا : لم يبق من عمرها إلا ثلاثة أشهر فقط ، وقالوا لأهلها : متعوها وأكلوها وشربوها كل ما تريد ؛ لأنه لم يبق من عمرها إلا ثلاثة أشهر فقط ، فقال الأهل للمرأة : أي شيء في نفسك وتريدينه من أكل أو شرب أو غيرهما سنوفره لكِ ، قالت : أريد أن أذهب إلى الحرم ، وأقضي بقية عمري هناك ، وذهبوا بها إلى الحرم ، ولم تكن تأكل ولا تشرب ، وإنما كانت تشرب من ماء زمزم فقط ، وكانت تأكل بعض حبات الفاكهة ونحو ذلك ، مرت ثلاثة أشهر والمرأة لا شيء عندها أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر أين ذهب المرض؟ لا تدري ، شعرت أنها في صحة جيدة ، عرضت نفسها على أطباء المملكة ، قالوا : إنك لا تشتكين من أي علة ، قالت : هؤلاء لا يعرفون شيئاً ، الأطباء الكبار قرروا أن بها سرطاناً ، وأطباء المملكة يقولون : ليس بها شيء ، أبناؤها لم يصدقوا ما قرره أطباء المملكة ، فأخذوها وطاروا بها إلى الأطباء هناك ، فبحثوا فلم يجدوا العلة ، أين ذهب المرض؟ لا يعرفون ، قالوا

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٣/٧١ ، وانظر زمزم طعام طعم وشفاء سقم ص٣١ .

لها : عند أي طبيب تعالجت ، وأي دواء أخذت؟! قالت : ما أخذت شيئاً سوى أنني كنت في الحرم ، وكل طعامي وشرابي كان من ماء زمزم.

فهذا يدل على أن الله تبارك وتعالى رفع هذا الداء بماء زمزم»[١] ، والله أعلم .

ثانياً : مشروعية التضلع من ماء زمزم :

معنى التضلع : يقال : تضلع إذا أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه[٢]. قال الإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي : «والتضلع الإكثار والامتلاء شبعاً ورياً وبئر زمزم معروفة ، ولها أسماء كثيرة ، وماؤها أشرف مياه الدنيا ، والكوثر أشرف مياه الآخرة»[٣].

و أما ما يتعلق بمشروعية التضلع من ماء زمزم فقد يسن لِلشَارِبِ أَن يتضلَّع مِن مَاء زَمزَمَ ، ويكثِر مِن شربِهِ حَتى يَمتلِئ ، ويرتَوِي مِنه حَتى يشبع رِياً ، روى ابن ماجة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : «كنت عند ابن عباس جالساً ، فجاءه رجل ، فقال من أين جئت؟ قال : من زمزم. قال فشربت منها كما ينبغي؟ قال وكيف؟ قال إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثاً وتضلع منها ، فإذا فرغت

---

(١) دروس للشيخ أبي إسحاق الحويني ٤٣/ ٥ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٠٥ .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٨١ رقم ٢٢ .

فاحمد الله عز وجل ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم» ، في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»[1] ، ورواه الحاكم وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه إن كان عثمان بن الأسود سمع من ابن عباس»[2].

ويقول الإمام السخاوي بعد ذكر هذا الحديث : «وله عند الأزرقي طريق آخر من حديث رجل من الأنصار عن أبيه عن جده رفعه: «علامة ما بيننا وبين المنافقين أن تدلوا دلواً من ماء زمزم فتضلع منها ، ما استطاع منافق قط يتضلع منها» وهو حسن»[3] .

ويقول زين الدين المناوي في فوائد التضلع من ماء زمزم : «والرغبة في الاستكثار منه عنوان الغرام وكمال الشوق ، فإن الطباع تحن إلى مناهل الأحبة ومواطن أهل المودة ، وزمزم منهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ومحل تنزل الرحمات وفيض البركات ، فالمتعطش إليها والممتلئ منها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد إلى الأحبة ، فلذلك جعل التضلع منها علامة فارقة بين النفاق والإيمان.

---

(١) سنن ابن ماجة ١٠١٧/٢ ، وانظر مصباح الزجاجة ٢٠٨/٣ رقم ٣٦٠١ .

(٢) المستدرك ٤٧٢/١ رقم ١٧٣٨ .

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي ٥٦٩/١ .

ولله در القائل :

وما شغفي بالماء إلا تذكراً ... لماء به أهل الحبيب نزول

ثم إن ما أوهمه ظاهر اللفظ من أن من لم يشرب منها مع تمكنه يكون منافقاً وإن صدق بقلبه غير مراد ، بل خرج ذلك مخرج الترغيب فيه والزجر والتنفير عن الزهادة فيه ، على أن العلامة تطَّرد ولا تنعكس ، فلا يلزم من عدم العلامة عدم ما هي له والبين البعد»(١).

و يقول سماحة الشيخ ابن عثيمين في حديث التضلع : «قوله : «ويتضلع منه» أي : يملأ بطنه حتى يمتلئ ما بين أضلاعه ؛ لأن هذا الماء خير ، وقد ورد حديث في ذلك لكن فيه نظر وهو : «أن آية ما بيننا وبين المنافقين إنهم لا يتضلعون من ماء زمزم» ؛ لأن المؤمن يؤمن بأنه شفاء ، ونافع والمنافق لا يؤمن بهذا ، فالمنافق لا يشرب منه إلا عند الضرورة لدفعها فقط ، والمؤمن يتضلع رجاء بركته التي جاءت في الحديث : «ماء زمزم لما شرب له» ؛ وذلك لأن ماء زمزم ليس عذباً حلواً ، بل يميل إلى الملوحة ، والإنسان المؤمن لا يشرب من هذا الماء الذي يميل إلى الملوحة إلا إيماناً بما فيه من البركة ، فيكون التضلع منه دليلاً على الإيمان.

قال بعضهم : ويستقبل القبلة ، ولكن هذا ضعيف ؛ لأن النبي صلّى

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/٨١ رقم ٢٢ .

الله عليه وسلّم شرب من زمزم ولم يرد عنه أنه استقبل القبلة ولا أنه رفع يديه يدعو بعد ذلك.

فإن قال قائل : هل يفعل شيئاً آخر كالرش على البدن وعلى الثوب ، أو أن يغسل به أثواباً يجعلها لكفنه ، كما كان الناس يفعلون ذلك من قبل؟

فالجواب : لا ، فنحن لا نتجاوز في التبرك ما ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وهذا لم يرد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، فلا نتجاوز إليه ، فما ثبت عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخذنا به وإلا فلا»(١).

وقال الحكيم الترمذي(٢) : «وحدثني أبي قال : دخلت الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما شغلني فجعلت أعتصر حتى آذاني وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار وذلك أيام الحج فذكرت هذا الحديث فدخلت زمزم فتضلعت منه فذهب عني إلى الصباح»(٣).

ويقول سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : «للشارب أن ينويه لما

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستنقع ٧/٢٤٨ .

(٢) هو أبو عبد الله الإمام العارف الزاهد ، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي ، وكان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل ، وله حِكم ومواعظ وجلالة ، لولا هفوة بدت منه ، توفي نحو سنة ٣٢٠. سير أعلام النبلاء ١٣/٤٤٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٧٠ .

أحب ، فإذا كان مريضاً وشرب من أجل أن يذهب مرضه فليفعل ويشفى بإذن الله ، وإذا كان عطشان وشرب لأجل الري فليفعل ويروى بإذن الله ، وإذا كان كثير النسيان فشرب ليقوى حفظه فليفعل ، وقد فعل ذلك بعض المحدثين ، لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم : «ماء زمزم لما شرب له» ، والحديث حسن»[١].

ويستنبط من ذلك عدم وجوب الشرب من ماء زمزم ، فقد قال ابن بطال : «وروى ابن جريج عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يشرب منها في الحج ، ومعنى ذلك أنه كان قد شرب منه ولم يواظب على شربه ؛ لئلا يظن به أنه كان يرى شربه من الفرض اللازم ، ولا يجوز أن يتأول عليه ترك شيئاً فعله النبي عليه السلام ؛ لأنه لم يكن أحد أتبع منه لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢] .

و يستحب للحاج والمعتمر وغيرهما أن يشرب من ماء زمزم إذا تيسر له ذلك[٣] ، ونص بعض الفقهاءِ عَلَى أَنّ شرب ماء زمْزم لنيل المطلوبِ فِي الدنيا والآخرة شامل لما لو شربه بغير محله ، ظاهره أن ذلك خاص بالشارب نفسه فلا يتعداه إلى غيره ، ويحتمل تعدي ذلك إلى الغير ، فإذا

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع ٧/٣٤٨ .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٣١٤ .

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ١٦/١٣٨ .

شربه إنسان بقصد ولده وأخيه مثلاً حصل له ذلك المطلوب ، ولا مانع منه إذا شربه بنية صادقة ، ، فَلو كان طلب التحصيل به لغير شاربه بأن شربه ليحصل لولده العلم أو الشفاء أو يفرق بين من يكون له ولاية أو وكالة بأن وكل في ذلك وبين غير من ذكر وليس موافقاً لما نقل عنه ، كما يسن شرب ماء زمزم في سائرِ الأحوال ، لا عقب الطَّواف خاصَّة ، وأَنه يسن شربه لكل أَحد ولو لغير الحاج والمعتمرِ[١].

وأما حكم استعمال ماء زمزم في رفع الحدث فقد ذكر العلماء أنه لا يكره استعمال زمزم لرفع الحدث الأصغر.

قال ابن القيم رحمه الله : «جوازُ الوضوء بالماء المبارَك ، وأن بركته لا تُوجب كراهةَ الوضوء منه ، وعلى هذا فلا يُكره الوضوء مِن ماء زمزم ، ولا مِن الماء الذي يجري على ظهر الكعبة ، والله أعلم»[٢].

ويقول الشيخ ابن عثيمين : «الوضوء به جائز ولا حرج ؛ لأنه ماء فيدخل في عموم قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ إلى أن قال﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾[المائدة : ٦]فعلى هذا يجب

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي ١٠/٤٦٢ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٦٦٩ .

عليه أن يستعمل هذا الماء أي ماء زمزم في طهارته ، ولا يجوز له العدول إلى التيمم ما دام هذا الماء موجوداً»[١].

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز يرحمه الله : «يجوز الوضوء منه - أي من ماء زمزم - والاستنجاء ، وكذلك الغسل من الجنابة إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه نبع الماء من بين أصابعه ، ثم أخذ الناس حاجتهم من هذا الماء ؛ ليشربوا ويتوضئوا ، وليغسلوا ثيابهم ، وليستنجوا ، كل هذا واقع ، وماء زمزم إن لم يكن مثل الماء الذي نبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فوق ذلك ، فكلاهما ماء شريف ، فإذا جاز الوضوء والاغتسال والاستنجاء وغسل الثياب من الماء الذي نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، فهكذا يجوز من ماء زمزم ، وبكل حال فهو ماء طهور طيب يستحب الشرب منه ، ولا حرج في الوضوء منه ، ولا حرج في غسل الثياب منه ، ولا حرج في الاستنجاء إذا دعت الحاجة إلى ذلك»[٢].

وذهب بعض الفقهاء إلى أنه لا يستعمل ماء زمزم في مواضع الامتهان ، ولا يستعمل إلا على شيء طاهر ، فلا ينبغي أن يغسل به ثوب نجس ، ولا يصب في مكان نجس ، ولا تزال به النجاسة الحقيقية ؛ لما

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ٥/١١٣ .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ١٠/٢٧ .

ورد من أحاديث وآثار كثيرة تدل على عظيم فضل ماء زمزم ، وكبير شرفه وجليل مكانته عند المؤمنين ، ثم إنه هو الماء الذي غسل به الملائكة الكرام قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ونحو هذا الاستعمال الذي فيه كل تكريم وتشريف لماء زمزم ، فماء هذا شأنه وفضله يميز عن سائر المياه ، ويصان عن استعماله فيما لايليق به.

ومع هذا القول فقد اتفقوا على أنه تحصل به الطهارة ، ولا سيما إذا لم يوجد غير ماء زمزم للتطهر به ، فاستعماله في هذه الحالة ضرورة لا يخفى حكمها ، والله أعلم[1].

---

(١) فضل ماء زمزم ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

المبحث الثالث :
إبراد الحمى بماء زمزم وحمله إلى البلدان

أولاً : إبراد الحمى بماء زمزم :

علمنا مما تقدم فضل ماء زمزم وبركته وأنه شفاء من الأمراض والأسقام بإذن الله تعالى لمن أخلص النية وأيقن أن الشافي هو الله سبحانه وتعالى ، وقد شُرع استعمال ماء زمزم في تبريد جسم الشخص الذي أصابته الحمى والسخونة ليشفى بإذن الله ، فقد أخرج الفاكهي وأحمد والنسائي والحاكم عن أبي جمرة الضبعي قال : «كنت أدفع الناس عن ابن عباس فاحتبست أياماً ، فقال : ما حبسك قلت : الحمى قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الحمى من فيح(١) جهنم فأبردوها بماء زمزم» » . قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق» ووافقه الذهبي(٢).

---

(١) الفيح : سطوع الحر وفوارنه ، ويقال بالواو ، وفاحت القدر تفيح وتفوح إذا غلت ، وقد أخرجه مخرج التشبيه والتمثيل : أي كأنه نار جهنم في حرها . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٩٥٥ .

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٢/٢٧ رقم ١٠٧٨ ، مسند الإمام أحمد ١/٢٩١ رقم ٢٦٤٩ ، السنن الكبرى للنسائي ٤/٣٨٠ رقم ٧٦١٤ ، المستدرك ٤/٢٠٠ رقم ٧٤٣٩ .

قال شعيب الأرنؤوط : «إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقال حسين سليم أسد : إسناده صحيح»[١].

والحديث أخرجه البخاري بالشك عن أبي جمرة الضبعي قال : «كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذتني الحمى فقال : أبردها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحمى هي من فيح جهنم فأبردوها بالماء» أو قال : «بماء زمزم» شك همام »[٢] ، وذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين[٣] ، وقال حسين سليم أسد : « إسناده صحيح »[٤].

وهذا الحديث هو تفسير للحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»[٥] ، فالمراد من الماء في الحديث - على هذا التفسير - ماء زمزم حملاً للمطلق على المقيد ، والله أعلم ، قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث : «وترجم له ابن حبان بعد إيراده

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٣١/١٣ رقم ٦٠٦٨ ، مسند أبي يعلى ١١٨/٥ رقم ٢٧٣٢ .

(٢) صحيح البخاري ١٥٦٥/١ رقم ٣٢٦١ .

(٣) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي ٨٠/٢ رقم ١١٣٦ .

(٤) مسند أبي يعلى ١١٨/٥ رقم ٢٧٣٢ .

(٥) صحيح البخاري ١٥٦٦/١ رقم ٣٢٦٤ ، صحيح مسلم ١٧٣١/٤ رقم ٧٨/٢٢٠٩ .

حديث ابن عمر فقال : ذكر الخبر المفسر للماء المجمل في الحديث الذي قبله وهو أن شدة الحمى تبرد بماء زمزم دون غيره من المياه ، وساق حديث ابن عباس وقد تعقب على تقدير أن لا شك في ذكر ماء زمزم فيه بأن الخطاب لأهل مكة خاصة لتيسر ماء زمزم عندهم ، كما خص الخطاب بأصل الأمر بأهل البلاد الحارة وخفي ذلك على بعض الناس»(١).

وقال ابن عبد البر في تفسير الحديث : «وأما معنى الحديث فقد فسرته فاطمة بنت المنذر في روايتها له عن أسماء بأنها كانت تصب الماء بين المرأة المحمومة وبين جيبها ، كأنها كانت تصبه بين طوق قميصها وعنقها حتى يصل إلى جسدها»(٢).

ونقل ابن حجر في هذا الحديث قول الخطابي(٣) : «غلط بعض من ينسب إلى العلم ، فانغمس في الماء لما أصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فأصابته علة صعبة كادت تهلكه ، فلما خرج من علته قال قولاً سيئاً لا يحسن ذكره ، وإنما أوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث ،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/١٧٦ .
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٩/٣٨٣ رقم ١٧٦١ .
(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي ، المحدث اللغوي المحقق المتقن ، من الأئمة الأعيان، توفي سنة ٣٨٨هـ . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١/٢٠ رقم ١١٦، الأعلام ٢/٢٧٣.

والجواب : أن هذا الإشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له أولاً : من أين حملت الأمر على الاغتسال؟ وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلاً عن اختصاصها بالغسل ، وإنما في الحديث الإرشاد إلى تبريد الحمى بالماء ، فإن أظهر الوجود أو اقتضت صناعة الطب أن انغماس كل محموم في الماء أو صبه إياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد ، وإنما قصد صلى الله عليه وسلم استعمال الماء على وجه ينفع ، فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به ، وهو كما وقع في أمره العائن بالاغتسال وأطلق ، وقد ظهر من الحديث الآخر أنه لم يرد مطلق الاغتسال ، وإنما أراد الاغتسال على كيفية مخصوصة ، وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته أسماء بنت الصديق فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئاً من الماء بين يديه وثوبه ، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها ، والصحابي ولا سيما مثل أسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالمراد من غيرها ، ولعل هذا هو السر في إيراد البخاري لحديثها عقب حديث ابن عمر المذكور وهذا من بديع ترتيبه ، وقال المازري[1] : ولا شك أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجاً

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، يعرف بالإمام لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم ، اطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والأدب وغير ذلك ، فكان أحد رجال الكمال في وقته في العلم وإليه كان =

إلى التفصيل حتى أن المريض يكون الشيء دواءه في ساعة ثم يصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلاً فيتغير علاجه ، ومثل ذلك كثير ، فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال ، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف وقوة الطباع ، ثم ذكر نحو ما تقدم ، قالوا : وعلى تقدير أن يرد التصريح بالاغتسال في جميع الجسد ، فيجاب بأنه يحتمل أن يكون أراد أنه يقع بعد إقلاع الحمى وهو بعيد ، ويحتمل أن يكون في وقت مخصوص بعدد مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع صلى الله عليه وسلم عليها بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام أهل الطب»[1].

ثانياً : حمل ماء زمزم إلى خارج مكة المكرمة :

ماء زمزم ماء مبارك أودع الله تعالى في ذاته البركة والخير أينما كان ، إن كان في مكة أو محمول منه إلى غيرها من المدن والبلدان ، نص عليه غير

=

يفزع في الفتوى ، توفي سنة ٥٣٦هـ . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/١٤٧ .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/١٧٥ رقم ٥٣٩١ .

واحد من أهل العلم ، حيث تبقى بركته وخاصيته حتى بعد نقله ، فقد روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : « أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله».

قال أبو عيسى : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»[1].

قال الشيخ الألباني : «قلت : وإسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات . واستهداؤه صلى الله عليه وسلم للماء من سهيل له شاهد من حديث ابن عباس . أخرجه البيهقي [2] ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قبل أن تفتح مكة إلى سهيل بن عمرو أن أهد لنا من ماء زمزم ولا تترك قال : فبعث إليه بمزادتين»[3].

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : «حدثني ابن أبي حسين[4]

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/٢٩٥ رقم ٩٦٣ ، صحيح وضعيف سنن الترمذي ٢/٤٦٣ رقم ٩٦٣ ، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ١/٩٠٧ رقم ٩٠٦٢ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٠٢ رقم ١٠٢٧٩ ، السلسلة الصحيحة ٣/١٣٠ رقم ٨٨٣ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٤٠٠ رقم ١٠٢٨٠ ، .

والمزادتان : تثنية مزادة ، وهو الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة والجمع : المزاود . والميم زائدة . النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٦٧٨ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل المكي النوفلي ، ثقة عالم بالمناسك ، من الخامسة ، ع . تقريب التهذيب ٢/٣١١ رقم ٣٤٣٠ .

أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى سهيل بن عمرو : إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحن أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليَّ ماء من زمزم ، فاستعانت امرأة سهيل أثيلة الخزاعية [١] جدة أيوب بن عبد الله بن زهير [٢]، فأدلجتا وجوار معهما فلم تصبحا حتى فرتا مزادتين فزعبتاهما [٣] وجعلتاهما في كُرَّين [٤] غوطيين [٥] ثم ملأتهما ماء فبعثت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم» [٦].

ويقول السخاوي في هذا الموضوع : «يذكر على بعض الألسنة أن فضيلته مادام في محله فإذا نُقل يتغير ، وهو شيء لا أصل له ، فقد كتب إلى سهيل بن عمرو : «إن وصل كتابي ليلاً فلا تصبحن أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليَّ بماء زمزم» وفيه أنه بعث له مزادتين وكان حينئذ بالمدينة ،

---

(١) أثيلة الخزاعية جدة أيوب بن عبد الله بن زهير الأسدي . الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٧/٧ رقم ١٠٧٧٤ .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) الزعب بالقربة : التدافع بها وحملها لثقلها . النهاية في غريب الحدث والأثر ٢ /٧٤١ .

(٤) الكُرُّ : جنس من الثياب الغِلاظ . النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ /٢٩١ .

(٥) نسبة إلى غوطة دمشق الكورة التي هي كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الأطيار مونقة الأزهار ، ملتفة الأغصان خضرة الجنان ، كلها بساتين وقصور . تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وهي أنزه بلاد الله وأحسنها منظراً . معجم البلدان للحموي ٤ /٢١٩ ، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ١ /٩٢ .

(٦) مصنف عبد الرزاق ٥ /١١٩ رقم ٩١٢٧ ، وانظر أخبار مكة للأزرقي ٢ /٤٧ .

قبل أن تفتح مكة وهو حديث حسن لشواهده ، وكذا كانت عائشة رضي الله عنها تحمل وتخبر أنه كان يفعله ، وأنه كان يحمله في الأداوي والقِرب ، فيصب منه على المرضى ويسقيهم ، وكان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه بماء زمزم ، وسئل عطاء عن حمله ، فقال : قد حمله النبي [صلى الله عليه وسلم] والحسن والحسين رضي الله عنهما وتكلمت على هذا في الأمالي»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جواز حمله : «ومن حمل شيئاً من ماء زمزم جاز ؛ فقد كان السلف يحملونه»(٢).

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين : «وله أن يحمل معه ماء زمزم ما تيسر له تبركاً به»(٣).

واتفق علماء المذاهب الأربعة وغيرهم على جواز حمل ماء زمزم إلى البلدان ، فقد نص علماء الأحناف على جواز نقل ماء زمزم إلى سائر البلاد للشرب وللهدية(٤).

---

(١) المقاصد الحسنة ١/٥٦٩ ، وانظر السلسلة الصحيحة ٢/٤٥٧ رقم ٨٨٣ ، صحيح وضعيف الجامع الصغير ١٩/٢٠٩ رقم ٩٠٦٢ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٦/١٢٤ .

(٣) مناسك الحج والعمرة ١/٤٢ رقم ١٣٢ .

(٤) انظر شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام المتوفى ٦٨١هـ ١/١٣٥ ، وانظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي

كما نص علماء المالكية على استحباب كثرة شرب ماء زمزم بنية حسنة ونقله من مكة إلى غيرها من بلاد الإسلام للبركة التي فيه ، وخصوصيته باقية فيه بعد نقله والتزود منه(١).

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف الدين النووي: «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على جواز نقل ماء زمزم إلى جميع البلاد واستحباب أخذه للتبرك»(٢).

وكذا نص كثير من علماء الحنابلة على جواز التزود من ماء زمزم ونقله إلى خارج مكة المكرمة ، وعدم كراهة إخراجه منها ؛ لأنه يستخلف وفي ازدياد دائم فهو كالثمرة وليس بشيء يزول فلا يعود ، والله أعلم(٣).

=

الزيلعي المتوفى ٧٤٣هـ ١/٢٠٢ ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم ابن نجيم المصري المتوفى ٩٧٠هـ ٣/٤٧ .

(١) انظر مختصر العلامة خليل بن إسحاق الجندي المتوفى ٧٧٦هـ ١/٧٠ ، وانظر مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل لشمس الدين محمد بن محمد المعروف بالحطاب الرعيني المتوفى ٩٥٤هـ ٤/١٦٣ ، شرح مختصر خليل للخرشي محمد بن عبد الله المتوفى ١١٠١هـ ٧/٤٦٩ ، الشرح الكبير للدردير أحمد بن محمد العدوي المتوفى ١٢٠١هـ ٢/٤٣ ، حاشية الصاوي على الشرح الكبير لأحمد بن محمد الصاوي المتوفى ١٢٤١هـ ٣/٤٠٦ .

(٢) المجموع شرح المهذب ٧/٤٥٧ ، وانظر أقوال علماء الشافعية في الحاوي الكبير للعلامة أبي الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ ٤/٣١٤ ، الشرح الكبير للإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي المتوفى ٦٢٣هـ ٧/٥١٣ .

(٣) انظر مثلاً : المغني لابن قدامة عبد الله بن أحمد المقدسي المتوفى ٦٢٠هـ ٣/٥٩٨ ، الشرح

ولا بأس أن يوصي شخص من يحج بيت الله الحرام أو يعتمر ليأتي بشيء من ماء زمزم حين عودته إلى بلده ، أو أن يرسل هذا الماء لمن طلبه من خارج المملكة لينتفع به ، فإنه ماء مبارك يستحب شربه تعبداً لله تعالى ؛ لأن عموم النصوص ليس فيها قيد الانتفاع به كونه في مكة ، والله أعلم(١).

ويقول الشيخ ابن عثيمين : «إن ظاهر الأدلة أن ماء زمزم مفيد سواء كان في مكة أم في غيرها فعموم الحديث الوارد عن النبي عليه الصلاة والسلام في قوله «ماء زمزم لما شرب له» يشمل ما إذا شرب في مكة ، أو شرب خارج مكة ، وكان بعض السلف يتزودون بماء زمزم يحملونه إلى بلادهم»(٢).

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله : «ولا حرج في بيع ماء زمزم ولا نقله من مكة»(٣).

=

الكبير لأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفى ٦٨٢هـ ٣٦٩/٣ ، كشاف القناع عن متن الإقناع للعلامة منصور بن يونس البهوتي المتوفى ١٠٥١هـ ١٤٣/٧ ، شرح منتهى الإرادات للبهوتي أيضاً ١٢/٤ .

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢٩٨/١ ، ٣٩٢/٢٦ ، ٢٠/١١١ .

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ٣٧/٢١٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ١٣٨/١٦ .

المبحث الرابع :
غسل قلب النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم

ومما يزيد ماء زمزم شرفاً وفضلاً أن غُسل به قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ أكثر من مرة ـ دون غيره من المياه ، حيث خص الله تعالى ماء زمزم المبارك فقط ، ليقوم جبريل عليه السلام بغسل قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم به.

فأما المرة الأولى فروى الإمام مسلم في صحيحه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل عليه السلام ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة[١] ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست[٢] من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه[٣] ، ثم أعاده في مكانه ،

---

(١) العلق : الدم الغليظ ، والقطعة منه علقة ، والعلقة المني ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمداً ثم ينتقل طوراً آخر ، فيصير لحماً وهو المضغة سميت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ . الصحاح تاج اللغة للجوهري ٤/١٥٢٩ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٦/٣١٥ .

(٢) الطست أصلها طس فأبدل من أحد المضعفين تاء ؛ لثقل اجتماع المثلين لأنه يقال في الجمع طساس مثل سهم وسهام ، وجمعت أيضا على طسوس باعتبار الأصل وعلى طسوت باعتبار اللفظ ، وهو فارسي معرب . لسان العرب ٢/٥٨ ، المصباح المنير ٥/٤٠٥ .

(٣) لأمه : بفتح اللام والهمزة أي ضم بعضه إلى بعض . الديباج على مسلم للسيوطي

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني - ظئره ومرضعته - فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»(١).

قال أبو حاتم ابن حبان : «شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي يلعب مع الصبيان وأخرج منه العلقة ، ولما أراد الله جل وعلا الإسراء به أمر جبريل بشق صدره ثانياً ، وأخرج قلبه فغسله ثم أعاده مكانه مرتين في موضعين وهما غير متضادين».

قال شعيب الأرنؤوط : «إسناده صحيح على شرط مسلم»(٢).

قال القاضي عياض في بيان فائدة استخراج حظ الشيطان من قلبه : «فيه دليل بَيَنٌ على عصمة نبينا من الشيطان ، وكفايته إياه أن يُسَلَّط عليه ، لا فى علمه ولا يقينه ، ولا جسمه ولا شيء من أمره ، لا بالأذى والوساوس ولا غيره ، وقد ادَّعى بعض العلماء الإجماع على ذلك»(٣) ،

=

. ١٩٧/١

(١) صحيح مسلم ١٤٥/١ رقم ٢٦١/٢٦٢ ، صحيح ابن حبان ٢٤٩/١٤ رقم ٦٣٣٦ ، دلائل النبوة للبيهقي ٥/٣ .

(٢) صحيح ابن حبان ٢٣٤/١٤ رقم ٦٣٣٤ .

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٣٣٠/١ .

وقال الحافظ أحمد بن عمر القرطبي[١] : «وهذه العلقة المنتزَعَة عنه هي القابلة للوساوس والمحرِّكة للشهوات ، فأُزِيل ذلك عنه ، وبذلك أُعين على شيطانه حتّى سلم منه»[٢] ، وقال الملا علي القاري[٣] في صفته صلى الله عليه وسلم : «أحسنهم قلباً بسلامته من كل رذيلة من بخل وغش وغيرهما من الأدناس الباطنية والصفات الدنية ، كيف وقد صح أن جبريل شقه واستخرج منه علقة ، وقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست ذهب بماء زمزم»[٤].

وأما المرة الثانية فروى الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ، فقيه مالكي من رجال الحديث ، ويعرف بابن المزين ، توفي سنة ٦٥٦هـ . الأعلام ١/١٨٦ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/١٤٦ رقم ١٣٠ .

(٣) هو الشيخ نور الدين الملا علي القاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي ، الجامع للعلوم ، والمتضلع من السنة النبوية ، من صدور العلم في عصره ، توفي سنة ١٠١٤هـ . الأعلام ٥/١٢ .

(٤) جمع الوسائل في شرح الشمائل للقاري . باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في صدري»(١).

قال الحافظ ابن حجر في نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت : «والحكمة فيه أن الملك انصب إليه من السماء انصبابة واحدة ، ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المناجاة وتنبيهاً على أن الطلب وقع على غير ميعاد ، ويحتمل أن يكون السر في ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره ، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفاً به وتثبيتاً له ، والله اعلم»(٢).

قال ابن بطال في هذا الحديث : «فيه من الفقه : أن أمور الله تعالى المعظمة لا بأس بتحليتها واستعمال الذهب والفضة فيها ، بخلاف سائر أمور الدنيا التي نهى عن استعمال الذهب والفضة فيها من أجل السرف ، ألا ترى أنه أبيح تحلية المصحف الذي فيه كلام الله عز وجل كما جاءه جبريل بالحكمة والإيمان من عند الله عز وجل من طست من ذهب ، وذكر أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن ، [باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة]»(٣) ، وقال محمد عبد الهادي السندي : «قوله : «ثم جاء

---

(١) صحيح البخاري ١/١٧٧ رقم ٣٤٩ ، صحيح مسلم ١/١٤٨ رقم ١٦٣/٢٦٣ ، صحيح ابن حبان ١٦/٤١٩ رقم ٧٤٠٦ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٦٤٠ رقم ٣٤٢ .

(٣) شرح البخاري لابن بطال ٢/١١ .

بطست من ذهب» أي : بإذنه بل بأمره تعالى فصار استعمال الذهب في حقه مباحاً بل واجباً ، فمن قال استعمال الذهب حرام فسؤاله ليس في محله حتى يحتاج إلى جواب ، والله تعالى أعلم»[١].

وقال الحافظ ابن حجر في اختيار طست الذهب للغسل : «قوله ثم جاء بطست بفتح الطاء وبكسرها إناء معروف ، وخص بذلك لأنه آلة الغسل عرفاً ، وكان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة ، وقد أبعد من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب ؛ لأن المستعمل له المَلَك فيحتاج إلى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ، ووراء ذلك إن ذلك كان على أصل الإباحة ؛ لأن تحريم الذهب إنما وقع بالمدينة»[٢].

وقال العيني في هذا المعنى : «وإنما خص الطست لكونه أشهر آلات الغسل عرفاً ، وخص الذهب لكونه الأعلى أواني الحسية وأصفاها ، ولأن للذهب خواص ليست لغيره وهي أنه لا تأكله النار ولا يبليه التراب ولا يلحقه الصدى ، وهو أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي فإن قلت : استعمال الذهب حرام للرجال قلت : لعل ذلك قبل التحريم ، وقيل إنه مخصوص بأحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة يلحق بأحكام الآخرة ؛

---

(١) حاشية السندي على صحيح البخاري ١/ ٧٧ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٤٦٠ رقم ٣٤٢ .

لأن الغالب أنه من أحوال الغيب»[١].

وفي هذا الحديث تشريف لماء زمزم لما فيه من حكم عظيمة ، فقد استخرج من قلبه حظ الشيطان ، وفي ذلك زيادة في إكرامه صلى الله عليه وسلم وإعظاماً له ، وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «بينا أنا عند البيت بين النائم ، واليقظان - وذكر : يعني رجلاً بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ، ملئ حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مراق البطن[٢]، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم ملئ حكمة وإيماناً»[٣] ، ولا شك في أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوّة ، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله . فلا يحل في قلبه شيء إلّا التوحيد ، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك ، فلم يرتكب إثماً ، ولم يسجد لصنم ، والله تعالى أعلم[٤].

وعلمنا مما تقدم أن الشق لصدره صلى الله عليه وسلم كان مرتين وهو المشهور في الموضوع ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى وقوعه مرتين أخريين ،

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥/٧٥ .

(٢) و مَرَاقُّ البطن - بفتح الميم وتشديد القاف - ما رق منه ولان ولا واحد له ، وهو ما بين السرة والعانة . مختار الصحاح للرازي ١/٢٦٧ ، كفاية المتحفظ في اللغة للطرابلسي ١/٦٨ .

(٣) صحيح البخاري ٥/٥٢ رقم ٣٢٠٧ ، صحيح مسلم ١/١٤٩رقم ٢٦٤/١٦٤ .

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/١٩٥ .

مرة وهو ابن عشر سنين ، ومرة عند مجيء جبريل عليه السلام إليه في غار حراء بالوحي فقال : ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة ، وتعقبه السهيلي[١] بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب ، قال : ومحصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها: هذا حظ الشيطان منك ، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة ، وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة إن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ، والله أعلم ، ومناسبته ظاهرة ، وروى الشق أيضاً وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبو نعيم في الدلائل[٢].

وقال العيني في تعدد الشق لصدره صلى الله عليه وسلم : «ولا إنكار في ذلك لكونه من الأمور الخارقة للعادة لصلاحية القدرة وإظهار المعجزة ، ثم الحكمة في الأول وهو في حال الطفولة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ولهذا قال في حديث أنس عند

---

(١) هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الإمام المشهور ، وكان له حظ وافر من العلم والأدب ، توفي سنة ٥٨١هـ . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/٨٩ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٦٤٠ رقم ٣٤٢ ، وانظر الديباج على مسلم ١/٢٠٠ .

مسلم : «هذا حظ الشيطان منك» وذلك العلقة التي أخرجها ، وفي الثاني - أعني عند البعث - ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال ، وفي الثالث - أعني عند العروج إلى السماء - ليتأهب للمناجاة»[1].

قال محمد طاهر الكردي : «واعلم بأن شق صدره صلى الله عليه وسلم بواسطة الملائكة الكرام عليهم السلام ، قد وقع أربع مرات :

١ - عند ما عمره نحو ثلاث سنين ،

٢ - عند ما عمره عشر سنين ،

٣ - عند أول البعثة ،

٤ - في ليلة الإسراء .

وشق صدر أشرف الأنام ... وهو ابن عامين وسدس عام
وشق للبعث وللإسراء ... أيضاً كما جاء في الأنباء
وشق أيضاً صدره للرابعة ... وهو ابن عشر فاحتفظ يا سامعة
ولم يقع عليه سوء وألم بل ... قام في الحال سليماً ما انثلم
وقد تولى الشق جبرائيل ... ذاك الأمين الطاهر الخليل

إنها عملية جراحية حسية ومعنوية معاً ، بدون ألم ولا وجع ولا خوف ولا وجل ، إنها عملية ملائكية نورانية ، حصلت في خلاء

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥/٧٥ .

وفضاء بغتة بلا تبنيج ، فكان الشق والغسل والشفاء والسلامة والقيام منها في لحظة واحدة»[١].

ولا شك أن شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجاز ، وجميع ما ورد عن هذه الحوادث من الأمور الخارقة للعادة يجب التسليم لما ثبت منها ؛ لأن ذلك غير مستحيل على الله تعالى ، ولا شك أيضاً أن مثل هذه المعجزات لها حِكَم ومدلولات عظيمة ، ومن ذلك ما جاء في هذه الأحاديث من استخراج حظ الشيطان من قلبه إعداداً له لتلقي الوحي السماوي وتحمل أعباء الرسالة السماوية ، وليقوى على رؤية ملكوت السموات والأرض ، والجنة والنار ، ولا شك أن ماء زمزم مقوي للقلب ومسكن للروع.

وقال الشيخ ابن عثيمين : «هذه من آيات الله عز وجل أنه شق صدره شقاً حقيقياً وغسله بماء زمزم لبركته ثم أطبقه ، عملية في أقل من ليلة ، وعملية صعبة وبدون بنج لكن الظاهر - والله أعلم- أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يحس بألم ، لا يُقال إن هذا من جنس الرؤيا وأنه لا حقيقة له ؛ لأن الأصل أنه حقيقة»[٢] ، والله تعالى أعلم.

---

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١/٧١ ، وانظر فضل ماء زمزم ص ٦١- ٦٢ .

(٢) شرح كتاب الحج من صحيح البخاري لابن عثيمين ١/١٠٥ .

الفصل الرابع :
فضل مقام إبراهيم عليه السلام

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : معنى المقام والمصلَّى .

المبحث الثاني : فضل المقام ومشروعية الصلاة خلفه .

المبحث الأول : معنى المقام ومعنى المصلَّى

أولاً : المقام : موضع القدمين ، والمقام والمقامة : الموضع الّذي تقيم فيه [١] ، وقد يكون كل واحد من المَقامُ والمُقامُ بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ؛لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم وقوله تعالى ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾[الأحزاب: ١٣] أي لا موضع لكم وقرئ ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بالضم أي لا إقامة لكم وقوله تعالى : ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[الفرقان: ٧٦] أي موضعاً [٢].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو؟ فقال ابن أبي حاتم : عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «مقام إبراهيم : الحرم كله» . وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك.

وقال أيضا عن عطاء عن ابن عباس : «مقام إبراهيم الحج كله» [٣] ، وعن سعيد بن جبير قال : «الحَجر مقام إبراهيم نبي الله ، قد جعله الله رحمة ، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة» [٤].

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد ٥/٢٣١ .

(٢) مختار الصحاح ١/٦٩٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤١٣ ، وانظر المحرر الوجيز ٢/٤٦٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٤١٤ .

و يقول ابن كثير بعد ما ذكر الأحاديث في هذه الآية : «فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحَجَرُ الذي كان إبراهيم عليه السلام ، يقوم عليه»[١] ، ويقول أيضاً : «كانت آثار قدميه ظاهرة فيه ، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها ؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل»[٢]

وعن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثهم ، قال : «رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام ، وإخْمَص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم»[٣].

وقال ابن جرير عن قتادة : «﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذُكِرَ لنا من رأى أثر عَقِبِه وأصابعه فيه ،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٦٢ رقم ١١٩٨ ، تفسير القرآن العظيم ١/٤١٦ ، وانظر فتح الباري ١/١٨٩ .

(٢) ديوان أبي طالب ١/٥٨ ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٠٩ ، الروض الأنف في شرح غريب السير ٢/٢٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤١٧ .

فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى»[١].

و قال الحافظ ابن كثير : «وقد كان المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك ، وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة ، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ؛ ولهذا - والله أعلم- أمر بالصلاة هناك عند فراغ الطواف ، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه ، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه وهو أحدُ الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين ، الذين أُمِرْنا باتباعهم ، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر »[٢] . وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ؛ ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين»[٣].

وذكر الإمام ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة - وهو إمام المكيين في

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ٢/ ٣٥ رقم ٢٠٠٠ .

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وقال : هذا حديث من أجل ما روي في فضائل الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . انظر الجامع الصحيح سنن الترمذي ٥/ ٦٠٩ رقم ٣٦٦٢ المستدرك ٣/ ٧٥ رقم ٤٤٥٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤١٧ .

زمانه - قال: «كان المقام في سُقْع[١] البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر إلى مكانه بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال: ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا، فرده عمر إليه، وقال سفيان أيضاً: لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله»[٢].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير هنا آثاراً عن مجاهد وعطاء وغيرهما في هذا المعنى ثم قال: «فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه، والله أعلم»[٣].

و المقام إلى عهد قريب رأيناه كان موجوداً في باطن الصندوق الخشبي، ومغطى بستارة حريرية مكتوبة منقوشة، والذي يحيط بجوانبه الأربعة شباك من الحديد المضروب باللون الأخضر، المقابل لباب الكعبة المعظمة[٤]. وأما صفة نفس الحجر فقد وصفه الشيخ حسين باسلامة بقوله: «هو حجر رخو من نوع حجر الماء، ولم يكن من حجر الصوان، وهو مربع على وجه الإجمال، ومساحته ذراع يد في ذراع يد طولاً وعرضاً وارتفاعاً، وفي وسطه أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام وهي حفرتان

---

(١) السقع: ناحية من الأرض والبيت. المحكم والمحيط الأعظم ١/١٥٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٢٦ رقم ١٢٠٠

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤١٨.

(٤) التاريخ القويم ٤/١٤.

على شكل بيضوي ، مستطيل»[١] . ثم قامت الحكومة الرشيدة للمملكة العربية السعودية مشكورة مأجورة - برفع الستارة والتابوت الخشبي من فوق المقام الكريم ، وتمت إزالة المقصورة الحديدية عنه ضمن توسعة المطاف لراحة الطائفين الكرام ، وتم وضع غطاء زجاجي سميك قوي جميل ، مع المحافظة على محله الأصلي ، وعدم زحزحته عنه ، ليظهر هذا المقام الشريف لكافة الناس مدى الأيام والأعوام ، ولتظهر للعالم الإسلامي حقيقة هذا المقام ، والله أعلم[٢].

ثانياً : المصلى : بصيغة اسم المفعول موضع الصلاة أو الدعاء ، والصلاة قيل أصلها في اللغة الدعاء ؛ لقوله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة :١٠٣] أي ادع لهم ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة:١٢٥] أي دعاء ثم سمي بها هذه الأفعال المشهورة لاشتمالها على الدعاء[٣].

يقول العلامة ابن عثيمين في المقام وفي المصلى : «والمقام : مكان القيام ؛ ويطلق إطلاقين : إطلاقاً عاماً - وهو مكان قيام إبراهيم للعبادة - وإطلاقاً خاصاً - وهو مقامه لبناء الكعبة - فعلى الإطلاق الأول يكون جميع مواقف الحج ، ومشاعر الحج من مقام إبراهيم : عرفة ، مزدلفة ،

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام لحسين باسلامة ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٢) التاريخ القويم ٤/٥٥ ، ٥٦ .
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٥/٢٥٤ .

الجمرات ، الصفا ، والمروة...إلخ ، وعلى الإطلاق الثاني الخاص يكون المراد الحجر المعين الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام ليرفع قواعد البيت ، وهو هذا المقام المشهور المعروف للجميع .

وقوله : ﴿ مصلى ﴾ أي مكان الصلاة؛ وهل المراد بالصلاة الصلاة اللغوية ، أو الصلاة الشرعية المعروفة؟ يحتمل هذا ، وهذا ؛ فإن قلنا بالأول شمل جميع مناسك الحج ؛ لأنها كلها محل للدعاء ، وإن قلنا بالثاني اختص بالركعتين بعد الطواف خلف المقام ، ويؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فرغ من طوافه تقدم إلى مقام إبراهيم ، وقرأ : ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ، وصلى ركعتين؛ والقول بالعموم أشمل ، ويجاب عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأنه فسر المعنى ببعض أفراده ، وهذا لا يقتضي التخصيص عند أهل التحقيق من الأصوليين»[١] .

(١) تفسير العلامة محمد بن صالح العثيمين ٤/٣٤ .

المبحث الثاني : فضل المقام ومشروعية الصلاة خلفه

أولاً : فضل مقام إبراهيم عليه السلام :

جعل الله بيته الحرام بيتاً عظيماً كثير البركة وعميم الخيرات والمنافع ، فهو من شعائر الله وتعظيمها من تقوى القلوب ، وأودع الله فيه آيات بينات ومن تلك الآيات التي فيها حِكَم كثيرة وأسرار عظيمة مقام أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فهو من أعظم الآيات الباقيات في بيته الحرام ؛ لذا جاء الأمر الرباني الصريح باتخاذ هذ المقام مصلى ، وهو دليل على فضل وشرف المقام الكريم ، وورد ذكر مقام إبراهيم في آيتين عظيمتين كريمتين من كتاب الله تعالى الكريم :

١ - قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾الآية [البقرة: ١٢٥].

٢ - وقال سبحانه : ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾الآية [آل عمران:٩٧].

أما الآية الأولى : فقد تقدم بعض الحديث عنها فيما مضى ، حيث أمر الله تعالى عباده القاصدين لحج بيت الله الحرام أن يتخذوا من مقام إبراهيم مكاناً للصلاة ، وسيأتي الحديث عنها بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

وأما الآية الثانية : ففضل المقام في الآية الكريمة واضح بيِّن ، حيث

جعل فيه دلالات وعلامات ظاهرة واضحة ، أنه من بناء إبراهيم عليه السلام ، وأن الله تعالى عَظَّمه وشرفه ، مع الأمر بالصلاة عنده ، قال مجاهد : أثرُ قدميه في المقام آية بينة . وكذا روي عن عُمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وقتادة [(١)] ، وقال العلامة السعدي رحمه الله في قوله ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ : «أي : أدلة واضحات ، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية ، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده ، وما مَنَّ به على أوليائه وأنبيائه ، فمن الآيات (مقام إبراهيم) يحتمل أن المراد به المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لما ارتفع البنيان ، وكان ملصقاً في جدار الكعبة ، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن ، والآية فيه: قيل أثر قدمي إبراهيم ، قد أثرت في الصخرة وبقي ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأمة ، وهذا من خوارق العادات ، وقيل إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه ، ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها ، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات ، كالطواف والسعي ومواضعها ، والوقوف بعرفة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤١٣ ، ٢/٧٩ .

ومزدلفة ، والرمي ، وسائر الشعائر ، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمل كل مشقة لأجلها ، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة ، وما في أفعالها من الحِكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها ، ومن الآيات البينات فيها أن من دخله كان آمناً شرعاً وقدراً»[١] ، وواضح مما تقدم أن تسمية المقام بمقام إبراهيم لقيامه عليه حين ارتفع بناؤه للبيت .

ومن فضائل هذا المقام المبارك أن إبراهيم عليه السلام قام عليه حين نادى في الناس للحج بعد بنائه للبيت ، فقد قال الحافظ ابن حجر : «فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فأراه المناسك كلها ، ثم قام إبراهيم على المقام فقال : يا أيها الناس أجيبوا ربكم ، فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف وحجه إسحاق وسارة من بيت المقدس ، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام ، وروى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس[٢] قال : قام إبراهيم على الحجر فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٣٨ .

(٢) الحديث في أخبار الفاكهي المطبوع بنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه ولعل حديث ابن عباس في الجزء المفقود من الكتاب .

فأجابه من آمن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة ، لبيك اللهم لبيك»[١] ، وقد تقدم في مبحث فضل الحجر الأسود حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وصححه الألباني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»[٢].

ثانياً : مشروعية الصلاة خلف المقام .

وفي مشروعية الصلاة خلف المقام بعد أداء الطواف روى البخاري عن أَنَسٍ بن مالك ، عن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « وافقت ربي في ثلاث ، في الحجاب ، وفي ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[التحريم : ٥] ، وقلت يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾»[٣].

يقول الحافظ ابن حجر : «والمعنى وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت ، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه أو أشار به إلى حدوث رأيه ، وقدم الحكم وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٤٠٦ رقم ٣١٨٤ .

(٢) انظر ص ٣٤ .

(٣) صحيح البخاري ١/٢٠٢ رقم ٤٠٢ ، صحيح مسلم ٤/١٨٦٥ رقم ٢٣٩٩/٢٤ .

الزيادة عليها ؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه»[١].

وروى أبو نعيم في الدلائل من حديث ابن عمر أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عمر فمر به على المقام فقال له : هذا مقام إبراهيم قال : يا نبي الله ألا تتخذه مصلى فنزلت.

قال ابن الجوزي : «إنما طلب عمر الاستنان بإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة ؛ لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة:١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة ولكون البيت مضافاً إليه ، وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء ؛ ليذكر به بعد موته فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه انتهى ، وهي مناسبة لطيفة ، ثم قال : ولم تزل آثار قدمي إبراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم»[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر في قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ : «وقع في روايتنا واتخذوا بكسر الخاء على الأمر ، وهي إحدى القراءتين ، والأخرى بالفتح على الخبر ، والأمر دال على الوجوب ، لكن انعقد الإجماع على جواز الصلاة إلى جميع جهات الكعبة ، فدل على عدم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري١/٥٠٥ رقم ٣٩٣ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري١٨/١٦٩ رقم ٤٢١٢ .

التخصيص ، وهذا بناءاً على أن المراد بمقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وهو موجود إلى الآن ، وقال مجاهد : المراد بمقام إبراهيم الحرم كله ، وروي غير ذلك من الأقوال ، والأول أصح وقد ثبت دليله عند مسلم من حديث جابر ، قوله مصلى : أي قبلة قاله الحسن البصري وغيره وبه يتم الاستدلال : وقال مجاهد : أي مدعى يدعي عنده ، ولا يصح حمله على مكان الصلاة ؛ لأنه لا يصلي فيه بل عنده ، ويترجح قول الحسن بأنه جار على المعنى الشرعي ، واستدل المصنف على عدم التخصيص أيضاً بصلاته صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة فلو تعين استقبال المقام لما صحت هناك ؛ لأنه كان حينئذ غير مستقبله ، وهذا هو السر في إيراد حديث ابن عمر عن بلال في هذا الباب ، وقد روى الأزرقي[١] في أخبار مكة بأسانيد صحيحة أن المقام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن ، حتى جاء سيل في خلافة عمر فاحتمله حتى وجد بأسفل مكة فأتى به فربط إلى أستار الكعبة حتى قدم عمر فاستثبت في أمره حتى تحقق موضعه الأول فأعاده إليه وبنى حوله فاستقر ثَم إلى الآن»[٢].

---

(١) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الأزرقي ، مؤرخ يماني الأصل ، من أهل مكة ، توفي نحو سنة ٢٥٠هـ . الأعلام ٢٢٢/٦ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٩٩/١١ رقم ٣٨٦ ، وانظر أخبار مكة للأزرقي

و قال عمرو بن دينار : «سألنا ابن عمر عن رجل طاف بالبيت العمرة ولم يطف بين الصفا والمروة أيأتي امرأته؟ فقال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة ، وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»(١).

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث : «معناه لا يحل له ذلك ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحلل من عمرته حتى طاف وسعى ، فتجب متابعته والاقتداء به ، وهذا الحكم الذي قاله ابن عمر هو مذهب العلماء كافة ، وهو أن المعتمر لا يتحلل إلا بالطواف والسعي والحلق إلا ما حكاه القاضي عياض عن ابن عباس وإسحاق بن راهويه : أنه يتحلل بعد الطواف وإن لم يسع ، وهذا ضعيف مخالف للسنة»(٢).

وفي حديث جابر الطويل في المناسك : قال جابر رضي الله عنه : «لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت

=

٣١/٢.

(١) صحيح البخاري ١٩٨/١ رقم ٣٩٥ ، صحيح مسلم ١٨٦٥/٤ رقم ٢٣٩٩/٢٤ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٣٣٧/٤ رقم ٢١٧٢ .

فكان أبي يقول : ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم» كان يقرأ في الركعتين : قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون » ، الحديث[١].

فالصلاة خلف المقام ركعتين سنة لكل طائف بالبيت ، وإذا لم يتيسر له الصلاة خلف المقام للزحام يجوز له أن يصليها في أي مكان من المسجد الحرام ، هذا هو المشروع ، ولا تجوز إعاقة الطائفين بالصلاة خلف المقام في أيام الذروة شديدة الزحام ، وأسوأ من هذا عمل إحاطة حول المصلي كما يفعله بعض الجهلة من الناس ، وأما استقبال المقام دون البيت وتقبيله والتمسح به والتبرك بأطرافه كما يفعله بعض القادمين إلى الحرم فغير جائز البتة ، حيث لم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : «فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها . فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأكبر ، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة ، فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد ،

---

(١) صحيح مسلم ٨٨٦/٢ رقم ١٤٧/١٢١٨ .

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له ، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له.

فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد ، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد»[١] ، والله تعالى أعلم.

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي ١/٥١ .

الفصل الخامس :
الصفا والمروة من شعائر الله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : شرح وتوضيح معنى قوله تعـالى ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

المبحث الثاني : مشروعية السعي بين الصفا والمروة .

المبحث الأول :
شرح وتوضيح معنى قوله تعالى :
﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ .

معنى الصفا :

الصَّفا في الأصل : العريض من الحجارة الأملس ، جمع صفاة ، يكتب بالألف ، وإذا ثني قيل : صفوان ، وهي الصفواء أيضاً[١] ، وهو اسمُ أحد جَبَلَي المَسعى في أصل جبل أبي قبيس ، والصَّفا في الأصْل جمع صَفَاة وهي الصَّخرةُ والحجر الأمْلَس[٢] .

والوصف القديم للصفا: «هو أربعة عشر درجاً ، وهو على ثلاثة أقواس مشرفة ، والدرجة العليا متسعة كأنها مصطبة ، وقد أحدقت به الديار ، وفي سعته سبع عشرة خطوة ، والميل سارية خضراء وهي خضرة صياغية ، وهي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم الشريف ، وفيها يرمل في السعي إلى الميلين الأخضرين ، وهما أيضاً ساريتان خضراوان على الصفة المذكورة الواحدة منهما بإزاء باب علي

---

(١) لسان العرب ٣/ ٢٥٦ ، تاج العروس من جواهر القاموس ٤٢٩/٣٨ .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٣/٣ ، الروض المعطار في خبر الأقطار ٣٦٢/١ .

رضي الله عنه في جدار الحرم الشريف وعن يسار الخارج من الباب ، والميل الآخر يقابله في جدار دار جعفر بن العباس ، وعلى كل واحد منهما بإزاء لوح قد وضع على رأس السارية كالتاج المنقوش فيه برسم مُذهب ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٥٨] ، فجميع خطا الساعي من الصفا إلى المروة أربعمائة خطوة وثلاث وتسعون خطوة ، وأدراج المروة خمسة وهي بقوس واحد كبير ، وسعته سعة الصفا سبع عشرة خطوة والخطوة ثلاثة أقدام ، وما بين الصفا والمروة ، مسيل ، هو اليوم سوق حافلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب والمبيعات وغيرها»(١).

معنى المروة :

المروة : واحدة المرو ، وهي في الأصل حجر أبيَض برَّاق وقيل : هي التي يقدح منها النار ، وهي جبل بمكة معروف ، والصفا جبل آخر بإزائه(٢) ، ومروة المسعى : التي تذكر مع الصفا وهي أحد رأسيه اللذين ينتهي السعي إليهما وبهذه الصخرة سميت المروة بمكة(٣).

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ١/ ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٣٢ ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٦٥ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٦٨٤ ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/ ٢٤٩١ ، الروض المعطار في خبر الأقطار ١/ ٣٦٢ .

شرح الآية :

قال أبو حيان[١] في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية : «الصفا والمروة علمان لهذين الجبلين ، والأعلام لا يلحظ فيها تذكير اللفظ ولا تأنيثه ، وقال : وليس الجبلان لذاتهما من شعائر الله ، بل ذلك على حذف مضاف ، أي إن طواف الصفا والمروة»[٢].

والشعائر جمع شعيرة أو شعارة ، أي : قد أشعر الله أنها حده وطاعته ، فهي بمعنى معالم الله ، قال الحسن : دين الله كله يعني شرائعه التي حدها لعباده ، فهو عام في جميع تكاليفه تعالى . وقال ابن عباس : ما حرم عليكم في حال الإحرام . وقال أيضاً هو ومجاهد : مناسك الحج . وقال زيد بن أسلم : شعائر الحج وهي ست : الصفا والمروة ، والبدن ، والجمار ، والمشعر الحرام ، وعرفة ، والركن ، وقال أيضاً : المحرمات خمس : الكعبة الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمسجد الحرام[٣].

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر النحوي اللغوي ، فريد الدهر وشيخ النحاة في عصره وإمام المفسرين في وقته ، توفي سنة ٧٤٥هـ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ٢/٢٨٨ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/٦٧ رقم ٦٦٢ .

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٢/٦٥ .

(٣) البحر المحيط في التفسير ٤/١٦٤ .

وقوله ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ : ليس المقصد منه إباحة الطواف لمن شاء ؛ لأن ذلك بعد الأمر لا يستقيم ، وإنما المقصد منه رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من أن الطواف بينهما فيه حرج ، وإعلامهم أن ما وقع في نفوسهم غير صواب[١].

وقال عروة : «سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ الآية [البقرة : ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا

(١) انظر المحرر الوجيز ١/١٧٥ .

لعلم ما كنت سمعته ، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون أن الناس إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة ، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا ، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، قال أبو بكر فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما ، في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت»(١).

وعن عاصم قال : «قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال : نعم ؛ لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾» [البقرة : ١٥٨](٢).

---

(١) صحيح البخاري ١/٧٥٤ رقم ١٦٤٣ ، صحيح ابن حبان ٩/١٤٧ رقم ٣٨٣٩ .
(٢) صحيح البخاري ١/٧٥٧ رقم ١٦٤٨ ، صحيح مسلم ٢/٩٣٠ رقم ١٢٧٨/٢٦٤ .

المبحث الثاني : مشروعية السعي بين الصفا والمروة .

وقد استُدلّ بحديث أنس المتقدم على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ، كما هو مذهب الشافعي ، ومن وافقه ، ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك ، وقيل : إنه واجب ، وليس بركن فإن تركه عمداً أو سهواً جبره بدم وهو رواية عن أحمد ، وقيل : بل مستحب ، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين ، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس ، وحكي عن مالك في العتبية ، قال القرطبي : واحتجوا بقوله : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ ، والقول الأول أرجح ؛ لأنه عليه السلام طاف بينهما ، وقال : «لتأخذوا عني مناسككم»[١]، فكل ما فعله في حَجته تلك واجب لا بد من فعله في الحج ، إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم ، وقد روى الإمام ابن خزيمة عن حبيبة بنت أبي تجراة قالت : كانت لنا خلفة في الجاهلية قالت : اطلعت من كوة بين الصفا والمروة فأشرفت على النبي صلى الله عليه وسلم وإذا هو يسعى وإذا هو يقول لأصحابه : «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» ، فلقد رأيته من

(١) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ٣/٣٧٨ رقم ٢٩٩٥ .

شدة السعي يدور الإزار حول بطنه حتى رأيت بياض بطنه وفخذيه[١] .

قال الشيخ الألباني : «حديث صحيح رجاله ثقات غير الخليل بن عثمان لم أجد له ترجمة ، وقد أورده المزي[٢] في التهذيب في شيوخ المقدمي ، وللحديث طرق أخرى بعضها جيد كما في الإرواء.

وقال أيضاً : وهو حديث صحيح خلافاً لمن وهم وهو مخرج في الإرواء »[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذه الآية : «فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ، أي : مما شرع الله تعالى لإبراهيم الخليل في مناسك الحج ، وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من تطواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها ، لما نفد ماؤها وزادُها ، حين تركهما إبراهيم عليه السلام هنالك ليس عندهما أحد من الناس ، فلما خافت الضيعة على ولدها هنالك ، ونفد ما عندها قامت تطلب الغوث من الله عز وجل ، فلم تزل

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٤/٢٣٢ رقم ٢٧٦٤ ، وانظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/٤٢١ رقم ٢٧٤٠٨ .

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي ، حافظ زمانه حامل راية السنة والجماعة ، والقائم بأعباء هذه الصناعة والمتدرع جلباب الطاعة ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ . طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠/٣٩٥ رقم ١٤١٧ ، الأعلام ٨/٢٣٦ .

(٣) مناسك الحج والعمرة ١/٢٥ رقم ٥٠ ، وانظر مختصر إرواء الغليل ١/٢٠٨ رقم ١٠٧٢ .

تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل ، حتى كشف الله كربتها ، وآنس غربتها ، وفرج شدتها ، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم ، وشفاء سقم ، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجئ إلى الله عز وجل ، ليُزيح ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته ، وأن يحوّله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي ، إلى حال الكمال والغُفران والسداد والاستقامة ، كما فعل بهاجر عليها السلام.

وقوله : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قيل : زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثامنة وتاسعة ونحو ذلك . وقيل : يطوف بينهما في حجة تطوع ، أو عمرة تطوع . وقيل : المراد تطوع خيراً في سائر العبادات ، والله أعلم»[1].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله : «فأما الذين قالوا : إنه ركن من أركان الحج والعمرة ، فقد استدلوا لذلك بأدلة :

منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة : ١٥٨] . قالوا : فتصريحه تعالى بأن الصفا والمروة من شعائر الله يدل على أن السعي

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٦٩ .

بينهما أمر حتم لا بد منه ؛ لأن شعائر الله عظيمة ، لا يجوز التهاون بها . وقد أشار البخاري رحمه الله في صحيحه إلى أن كونهما من شعائر الله ، يدل على ذلك . قال : [باب وجوب الصفا والمروة ، وجعل من شعائر الله].

وقال ابن حجر في الفتح في شرح قول البخاري : «وجعل من شعائر الله ؛ أي : وجوب السعي بينهما ، مستفاد من كونهما جعلا من شعائر الله»[1].

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له - : ومما يدل على أن شعائر الله لا يجوز التهاون بها ، وعدم إقامتها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [المائدة: ٢] . وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢] ، ومن أدلتهم على ذلك : «أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف في حجه وعمرته بين الصفا والمروة سبعاً» ، وقد دل على أن ذلك لا بد منه دليلان :

الأول : هو ما قدمنا من أنه تقرر في الأصول أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا كان لبيان نص مجمل من كتاب الله ، أن ذلك الفعل يكون لازماً ، وسعيه بين الصفا والمروة فعل بين المراد من قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ والدليل على أنه فعله بياناً للآية هو قوله

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/٤٩٨ .

صلى الله عليه وسلم : «نبدأ بما بدأ الله به» ، يعني الصفا ؛ لأن الله بدأ بها في قوله : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ . وفي رواية «أبدأ» بهمزة المتكلم ، والفعل مضارع . وفي رواية عند النسائي : «ابدءوا بما بدأ الله به» بصيغة الأمر.

الدليل الثاني : أنه صلى الله عليه وسلم قال : «لتأخذوا عني مناسككم» ، وقد طاف بين الصفا والمروة سبعاً ، فيلزمنا أن نأخذ عنه ذلك من مناسكنا ، ولو تركناه لكنا مخالفين أمره بأخذه عنه ، والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣] فاجتماع هذه الأمور الثلاثة التي ذكرنا يدل على اللزوم : وهي كونه سعى بين الصفا والمروة سبعاً ، وأن ذلك بيان منه لآية من كتاب الله وأنه قال : «لتأخذوا عني مناسككم» »(١).

وقد لخص العلامة ابن عثيمين رحمه الله المسألة فقال : «والسعي هو الركن الرابع ، وهو المذهب ، وقيل : إنه واجب يجبر بدم ، وقيل : إنه سنة ، وهذا أضعف الأقوال ، وأصح الأقوال أنه ركن لا يتم الحج إلا به ، والدليل على ذلك ما يلي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٥٨].

ثانياً : قول النبي صلّى الله عليه وسلّم : «اسعوا فإن الله كتب عليكم

---

(١) أضواء البيان ٤/٤١٦ .

السعي».

ثالثاً: قول عائشة رضي الله عنها: «والله ما أتم الله حج رجل ولا عمرته لم يطف بهما»، أي: بالصفا والمروة.

فإن قال قائل: كيف تقولون: إن السعي بين الصفا والمروة ركن، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨] ونفي الجناح لا يدل على الوجوب، بل يدل على رفع الإثم فقط، فكيف تجعلونه ركناً لا يصح الحج إلا به؟ هذا إيراد وارد.

قلنا: إن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ يكفي دليلاً في مشروعية السعي حيث جعلهما من شعائر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢] والطواف بهما تعظيم لهما، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ دليلاً على أن من طاف بهما فقد عظم شعائر الله وأنه لا جناح عليه.

وأما قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، فهذا رفع توهم وقع من بعض الناس حين نزول الآية، وذلك أنه كان على الصفا والمروة صنمان يعبدان من دون الله، فتحرج المسلمون من أن يطوفوا بالصفا والمروة، وعليهما صنمان قبل الإسلام، فنفى الله سبحانه وتعالى ذلك الجناح؛ ليرتفع الحرج عن صدورهم، فكان الغرض من نفي الجناح رفع

الحرج عن صدورهم ، حتى لا يبقى فيها قلق ، هذه أربعة أركان»(١).

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة حتى إذا أنصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعد مشى حتى إذا أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا »(٢) . علماً بأن السعي من الصفا إلى المروة شوط ، ورجوعه من المروة إلى الصفا شوط آخر ، والله أعلم.

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع ٧/٣٨٤ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١/١٧٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات للمؤمنين ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الأمين ، وعلى آله البررة الطاهرين ، وأصحابه الكرام الميامين .

وبعد : فبتوفيق من الله العزيز الكريم وعونه ، قد انتهيت من إنجاز وإتمام هذا البحث المفيد - إن شاء الله تعالى- ، في زمن قياسي ، أيام متواصلة في العمل بالبحث والكتابة ، وإني لأعلم أن في البحث مجالاً لمزيد من الإضافة والتوسع ، والتهذيب والتنقيح ، ويكون النظر في ذلك في الطبعات اللاحقة إن شاء الله تعالى ، وقد بذلت فيه قصارى جهدي ، وحاولت - قدر المستطاع - أن يخرج العمل في شكل ومضمون مناسبين ، وأخشى بعد ذلك أن يقال : إني قصرت في البيان ، وعلى أي حال فإن عمل الإنسان يتطرق إليه النقد من حيث الزيادة والنقصان ، ولكن من نصح في عمله واجتهد ، فإنه مأجور من الله الكريم المنان ، ولعل من المفيد أن أسطر هنا أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال عملي هذا ، بفضل الله تعالى ومنّه :

١ - لا شك أن علماء المسلمين اهتموا بالكعبة المشرفة اهتماماً كبيراً بتدوين تاريخها ، والتأليف في مراحل بنائها وترميمها ، في مختلف العصور

والدهور قديماً وحديثاً ، وكذلك عنوا عناية فائقة بتراجم الساكنين بجوارها والوافدين إليها ، فأصبحت لدينا ثروة كبيرة من كتب التراث والمجلدات في هذا الموضوع ، بيد أنني لم أقف على كتاب أو بحث خاص وخالص في بيان فضائل الكعبة والمسجد المحيط بها وفق القواعد المتبعة في منهج البحث العلمي وتحقيق التراث الإسلامي ، فأسهمت بهذا البحث الموجز الممحض في بيان الفضائل ، مع إشارة موجزة إلى شيء من تاريخ البناء والتعريف بالأماكن ؛ لأن ذلك ضروري أيضاً تكملة للموضوع ، معتمداً في ذلك على الأحاديث والآثار الصحيحة والحسنة في الغالب ، وعلى الكتب المعتمدة في العقيدة والحديث والتفاسير والشروح والفقه والفتاوى ونحو ذلك .

٢ - بدأت البحث بذكر نبذة يسيرة عن بناء الكعبة ووصفها ، وتعرضت للآيات التي فيها أسماء الكعبة ، ثم بينت فضل الكعبة الشريفة ذاتها ، وفضل الطواف بها والصلاة فيها ، كما وضحت فضل الأماكن الموجودة ضمن مبنى الكعبة المعظمة ، كالحجر الأسود والركن اليماني والحِجر والملتزم .

٣ - تناولت فضل المسجد الحرام بشرح الآيات الواردة فيه ، وبيان المراد منها ، وبينت ما يتميز به المسجد الحرام بمضاعفة الأجر أكثر من المسجد النبوي والمسجد الأقصى ، ثم ما يتميز به مع المسجدين بجواز شد

الرحال إليها ، ثم تطرقت إلى فضل ماء زمزم ، ومشروعية شربه والتضلع منه وفوائده ، وبعض أحكامه وذكر بعض تجارب الشاربين بالنية وحصول مقاصدهم وقضاء حاجتهم .

٤ - علماً بأنني قد ذكرت أماكن ليس لها فضل لذاتها ، وإنما اكتسبت الشرف بارتباطها بهذه البقعة الطاهرة ، كالميزاب الملصقة بالكعبة لتصريف مياه الأمطار عند نزولها على سطح الكعبة ، والكسوة ثوب الكعبة الساتر لها والمعطي لها رونقاً وجمالاً للناظرين إليها وذلك بنقوش الآيات القرآنية والزخارف الإسلامية العريقة .

٥ - حظيت الكعبة المطهرة مع ما فيها من الأماكن المقدسة كالحجر الأسود والركن اليماني والحِجر والملتزم بعناية فائقة ورعاية كبيرة في كل عصر من العصور ، من قِبل الملوك وا لولاة والسلاطين ، من تجديد للبناء والقيام بالترميمات والتحسينات اللازمة لها ، بيد أن العناية التي حظيت بها في العهد السعودي الزاهر أكبر بكثير ولا مقارنة بينهما ، إذ كان من أول أعمال جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله وأسكنه فسيح جنته - الاهتمام بالكعبة المطهرة ، ترميماً وإصلاحاً من الداخل والخارج ، فتم تنفيذ ذلك في سنة (١٣٧٧هـ) ، ثم ما حصل من المشروع الكبير للترميم الشامل للكعبة المشرفة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله سنة (١٤١٧هـ) .

٦ - لقي المسجد الحرام الذي وقع في وسطه أول بيت وضع للناس ، تهوي إليه أفئدتهم وتتشوق له قلوبهم ، حيث يتوجهون إليه ليلاً نهاراً في صلواتهم وعباداتهم ، لقي هذا المسجد اهتماماً كبيراً وعناية عظيمة من القائمين عليه والمسئولين عنه في كل زمان وأوان ، ولا سيما في العهد السعودي المبارك ا لميمون من لدن قيام جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - بتوحيد المملكة العربية السعودية ، إلى وقتنا الحاضر العهد الموفق الميمون لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ورعاه ، ووفقه مولاه إلى ما يحبه ويرضاه ، حيث يشهد المسجد الحرام الآن توسعة تاريخية عملاقة ، أعظم توسعة له بأكبر مشروع تعميري إنشائي حديث في تاريخ البشرية ، ولا زال العمل جارياً على قدم وساق في هذه التوسعة العظيمة ، وكذا التوسعة الكبيرة المهمة للمطاف ، وعمل جسر معلق حول الكعبة المعظمة ، والعمل الدؤوب ليلاً ونهاراً بالهدم والبناء جار ومستمر ، وفق الله عز وجل خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين والحكومة الرشيدة على إتمام هذه المشاريع الخيرة ، التي يعود نفعها على الأمة الإسلامية قاطبة ، بالتيسير والتسهيل في أدائهم لمناسك حجهم وعمرتهم .

٧ - طالت العناية الفائقة والرعاية المتميزة أيضاً الأماكن الطاهرة

المقدسة داخل المسجد الحرام كمقام إبراهيم عليه السلام وبئر زمزم ، في مختلف العصور ، وخاصة في ظل الحكومة السعودية السلفية المباركة ، حيث جُعل المقام في غطاء من الزجاج البلوري القوي الجميل يظهر للناس أثر القدمين ، كما تم نقل بئر زمزم إلى الطابق السفلي لصحن المطاف توسعة للطائفين وتسهيلاً للمصلين خلف المقام وحوله ، مع مد شبكات وأنابيب توزيع ماء زمزم من البئر إلى محطات التبريد المختلفة داخل الحرم وإلى الخزانات في خارج الحرم ، ومن ذلك مشروع خادم الحرمين الشريفين لسقيا زمزم الواقع في كدي ، كما نال المسعى حظه من التوسعة العظيمة ذات الأدوار المتعددة ، مع تمديد شبكات التكييف المركزي ، فلا يجد الناس الآن أي صعوبة أو إعاقة في أداء منسك السعي بين الصفا والمروة ، والحمد لله .

٨ - بينت ونبهت في نهاية كل فصل من البحث على ما يقع الناس فيه من المخالفات العقدية والعملية في هذه الأماكن من التمسح بجميع أركان الكعبة وبالكسوة والمقام ونحوها ، والتبرك غير المشروع كاعتقاد النفع والضر ، وهو مخالف للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح ، وقد يؤدي ذلك إلى الشرك ، عياذاً بالله سبحانه ، ودعمت ذلك بأقوال الأئمة والعلماء ، ولا سيما مشايخنا الكرام من أصحاب العلم وأرباب الفتوى في هذه الدولة الفتية رحمهم الله تعالى ، كما

بينت بعض الأحكام الفقهية والمسائل المرعية الضرورية عند وجود مناسبة لذلك .

وبعد : فقد قضيت أياماً ممتعة مع تضاعيف وطيات هذا البحث المبارك - إن شاء الله - وعشت فضائله وأحداثه بكل شغف وشوق ، علماً بأن علاقتي بهذا البيت الكريم قديمة منذ نعومة أظفاري ، حيث وفقني الله تعالى لإتمام حفظ كتاب الله عز وجل في أروقة المسجد الحرام في التسعينات الهجرية ، ولا زلت أذكر تلك الأيام الجميلة عند مذاكرتنا للدروس في خلوات المسجد وحصواته إبان الدراسة في دار الحديث ، أسأل الله العلي القدير أن لا يحرمنا من هذا البيت العتيق ، ويرزقنا حسن الجوار وجميل التأدب ، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصـادر

١ - آثار البلاد وأخبار العباد : لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (٦٨٢هـ) .
٢ - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : لأحمد بـن أبي بكـر بـن إسماعيل البوصيري (٨٤٠هـ)
٣ - إتحاف الورى بأخبار أم القـرى : للـنجم عمـر ابـن فهـد المكـي (٨٨٥هــ) . تحقيـق : فهـيم محمـد شـلتوت ، ط. الأولى ، ١٤٠٤هــ - ١٩٨٣م ، مكتبـة الخانجي ، القاهرة .
٤ - أحكام الجنائز : للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) .
٥ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه : لأبي عبد الله محمـد بـن إسـحاق الفـاكهي (٢٧٢ هـ) . تحقيق : د . عبد الملك بن عبد الله بن دهـيش ، ط. الثالثـة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، دار خضر ، بيروت .
٦ - أخبـار مكـة ومـا جـاء فيهـا مـن الآثـار: لأبي الوليـد محمـد بـن عبـد الله الأزرقـي (نحـو ٢٥٥هــ). تحقيـق : علـي عمـر ، ط. الأولى ، مكتبـة الثقافـة الدينية ، مصر .
٧ - أخطاء في العقيدة : لعبد الرحمن بن صالح المحمود .
٨ - الأذكار النووية : للإمام يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) .
٩ - أرشيف المجلس العلمي : (موقع الألوكة) .
١٠ - أرشيف ملتقى أهل الحديث : منتدى الدراسات الحديثية ، ومنتدى التخريج ودراسة الأسانيد ، تم تحميله في ٧ رمضان ١٤٢٩ هـ - ٧ سبتمبر ٢٠٠٨ م
١١ - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطـار : لابـن عبـد الـبر النمري (٤٦٣هـ) .

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ) .
١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان .
١٣- الأعلام : لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ) ، ط. الخامسة عشر ، ٢٠٠٢ م ، دار العلم للملايين .
١٤- أعلام الحجاز : لمحمد علي المغربي ، ط. الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، دار العلم ، جدة .
١٥- أعلام النبوة : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي(٤٥٠هـ) تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط. الأولى ، ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٦- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام : لعبد الله بن محمد الغازي المكي (١٣٦٥هـ). تحقيق : د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط. الأولى ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة .
١٧- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم : للقاضي عياض اليحصبي (٥٤٤ هـ) .
١٨- البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق : لأبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي (٨٥٤هـ) .
تحقيق : د . عبد الله نذير أحمد ، ط. الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة .
١٩- البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) .
تحقيق : علي شيري ، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار إحياء التراث العربي .

٢٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) . موسوعة ملتقى أهل الحديث .
٢١- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير : لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (٨٠٤هـ) .تحقيق : مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال ، ط. الأولى ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، دار إشبيليا ، الرياض.
٢٢- بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار : لفيصل بن عبد العزيز الحريملي (١٣٧٦هـ) ، ط. الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٣- البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة : لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي (٨١٧هـ). تحقيق : محمد المصري ، ط. الأولى ، ١٤٠٧هـ ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت .
٢٤- بوابة الحرمين الشريفين(موقع الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي) .
٢٥- تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمّد بن محمّد مرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥ هـ) . تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
٢٦- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق : لخالد بن عيسى البلوي الأندلسي (٧٨٠هـ) .
٢٧- تاريخ عمارة المسجد الحرام : للعلامة حسين عبد الله باسلامة (١٣٥٩هـ) ، ط. الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .
٢٨- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم : للعلامة محمد طاهر عبد القادر الكردي(١٤٠٠هـ) ، ط. الثانية ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة .

٢٩- تاريخ الكعبة المشرفة : للدكتور : عبد الله محمد الطريقي . ط.الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٣٠- تاريخ الكعبة المعظمة : للعلامة حسين عبد الله باسلامة (١٣٥٩هـ) . تعليق : يوسف علي الثقفي ، ط. الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، دارة الملك/عبد العزيزبن عبد الرحمن آل سعود .
٣١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : للمباركفوري (١٣٥٣هـ) . دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٢- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج : لابن الملقن (٨٠٤هـ) . تحقيق : عبد الله بن سعاف اللحياني ، ط. الأولى ، ١٤٠٦هـ ، دار حراء ، مكة المكرمة .
٣٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري(٦٥٦هـ) . تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط. الأولى ، ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٤- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان : للعلامة محمد ناصر الدين الألباني(١٤٢٠هـ) . ط. الأولى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، دار با وزير للنشر والتوزيع ، جدة .
٣٥- تفسير ابن أبي حاتم : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) . تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان .
٣٦- تفسير البحر المحيط : لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥ هـ) . دار الفكر .
٣٧- تفسير العلامة محمد العثيمين : للعلامة محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) .

٣٨- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ) . تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، ط. الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، دار طيبة للنشر والتوزيع .
٣٩- تقريب التهذيب : للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) . تحقيق: محمد عوَّامة ، ط. الأولى ١٤٠٦هـ ، دار الرشيد ، حلب . اعتمدنا على نسخة : طبعة دار الرشيد بحلب ، ط. الأولى ١٤٠٦هـ
٤٠- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ط. الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٩م ، دار الكتب العلمية .
٤١- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك : للإمام عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، ط. الأولى ، ١٣٨٩ - ١٩٦٩هـ ، المكتبة التجارية الكبرى مصر .
٤٢- تهذيب التهذيب : للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) .
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]
٤٣- تهذيب اللغة : للأزهري (٣٧٠هـ) . تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .
٤٤- التوحيد في الحج : لفضيلة الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي .
٤٥- التيسير بشرح الجامع الصغير : للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي (١٠٣٢هـ) ، ط. الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض .
٤٦- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام : للشيخ عبد الله البسام (١٤٢٤هـ) .
٤٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) . تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الرسالة .

٤٨- الثقات : لمحمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ) . تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط. الأولى ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار الفكر .
٤٩- جامع البيان في تأويل القرآن : لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري (٣١٠هـ) . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط. الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الرسالة .
٥٠- جامع صحيح الأذكار : للألباني (١٤٢٠هـ) . جمع وترتيب : أبي الحسن محمد بن حسن الشيخ ، أعده للشاملة وائل عبد العظيم عبد الحميد يونس .
٥١- الجامع الصحيح سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي (٣٧٩هـ) . تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٢- الجامع الصغير من حديث البشير النذير : للإمام عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) .
٥٣- الجامع لأحكام القرآن : لمحمد بن أحمد القرطبي (٦٧١ هـ) . تحقيق : سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
٥٤- الجرح والتعديل : لمحمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) ، ط. الأولى ، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن الهند ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
٥٥- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم : لمحمد بن فتوح الحميدي (٢١٩هـ) . تحقيق : د . علي حسين البواب ، ط. الثانية ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت .

٥٦- جمع الوسائل في شرح الشمائل : لعلي بن سلطان القاري (١٠١٤هـ) . المطبعة الشرفية ، مصر ، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته .
٥٧- جمهرة اللغة : لابن دريد الأزدي (٣٢١هـ) .
٥٨- حاشية السندي على صحيح البخاري : لمحمد بن عبد الهادي السندي (١١٣٨هـ) . دار الفكر .
٥٩- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للسيوطي (٩١١هـ) . مصدر الكتاب : موقع الوراق .
٦٠- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة : لعبد القادر بن محمد الجزيري (نحو ٩٧٧هـ) . إعداد : حمد الجاسر ، ط. الثانية ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، دار اليمامة ، الرياض .
٦١- دلائل النبوة : للإمام البيهقي (٤٥٨ هـ) تحقيق : د. عبد المعطى قلعجي ، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار الكتب العلمية ، ودار الريان للتراث .
٦٢- دروس صوتية : لأبي إسحاق محمد شريف الحويني الأثري .
قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
٦٣- الديباج على مسلم : لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) .
٦٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : لابن فرحون (٧٩٩هـ) . مصدر الكتاب : موقع الوراق .
٦٥- الروض الأنف في شرح غريب السير : لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٨١هـ) .

٦٦- الروض المعطار في خبر الأقطار : لمحمد بن عبد المنعم الحِميري (٩٠٠هـ) . تحقيق : إحسان عباس ، ط. الثانية ، ١٩٨٠ م ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت .
٦٧- زاد المعاد في هَدْي خير العباد : لشمس الدين ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ) .
٦٨- زمزم طعام طعم وشفاء سقم : للمهندس : يحيي حمزة كوشك ، ط. الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار العالم للطباعة والنشر ، جدة .
٦٩- السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١-٩ : لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) .
٧٠- سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ) . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
٧١- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) . مؤلف الجوهر النقي : علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، ط. الأولى ، ١٣٤٤ هـ ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد .
٧٢- السنن الكبرى : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) ، تحقيق : حسن عبد المنعم حسن شلبي ، روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة .
٧٣- سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨ هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٧٤- السيرة النبوية : لعبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ) . تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، ط. الأولى ، ١٤١١هـ ، ، دار الجيل ، بيروت .

٧٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لعبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) . تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط ، ١٤٠٦هـ ، دار بن كثير ، دمشق .
٧٦- شرح بلوغ المرام (كتاب الحج) : للدكتور عبد الكريم الخضير . والشرح منُقول من موقع الشيخ .
٧٧- شرح بلوغ المرام : للشيخ عطية بن محمد سالم (١٤٢٠هـ) .
[الكتاب مرقم آليا ، ورقم الجزء هو رقم الدرس]
٧٨- شرح رياض الصالحين : للعلامة محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) .
٧٩- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (١١٢٢ هـ) . ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨٠ - شرح السنة : لحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، ط. الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ،المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت .
٨١- شرح سنن أبي داود : للشيخ عبد المحسن العباد .
٨٢- شرح سنن ابن ماجه : للسيوطي ، عبدالغني ، فخر الحسن الدهلوي . قديمي كتب خانة ، كراتشي .
٨٣- شرح صحيح البخاري : لعلي بن خلف ابن بطال القرطبي(٤٤٩هـ) . تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، ط. الثانية ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٨٤- شرح كتاب الحج من صحيح البخاري : للعلامة محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١ هـ) قام بإعدادها : مجموعة من طلاب العلم .

٨٥- شرح معاني الآثار : لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ) . تحقيق : محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق ، ط. الأولى - ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م، عالم الكتب ، بيروت .
٨٦- الشرح المختصر على بلوغ المرام (الطهارة والصلاة والصوم) : لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين .
٨٧- الشرح الممتع على زاد المستقنع : لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) ، ط. الأولى١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ ، دار ابن الجوزي .
٨٨- الشرح الميسر لكتاب التوحيد : للشيخ عبد الملك القاسم .
٨٩- شعب الإيمان : للإمام أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) . تحقيق وتخريج د . عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط. الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند .
٩٠- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (٨٣٢هـ) . تحقيق : عادل عبد الحميد عدوي وآخرين ، ط. الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الرياض .
٩١- صحيح البخاري : للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٩هـ) .
[الطبعة الهندية من ملتقى أهل الحديث] ، هذه النسخة موافقة في ترقيم صفحاتها للطبعة السلطانية التي طبعت بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وترقيم الأحاديث موافق لترقيم أحاديث فتح الباري .
٩٢- صحيح الترغيب والترهيب : للألباني . ط. الخامسة ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٩٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩٤- صحيح ابن حبان(٤٥٨هـ) بترتيب ابن بلبان (٧٣٩ هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط. الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة ،بيروت .
٩٥- صحيح ابن خزيمة : للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) . تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٩٦- صحيح أبي داود : للألباني (١٤٢٠هـ) ، ط. الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت .
٩٧- صحيح ابن ماجة : له .
٩٨- صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ) . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٩٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني . المكتب الإسلامي .
١٠٠- صحيح وضعيف سنن النسائي : له .
مصدر الكتابين : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية ، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .
١٠١- صحيح وضعيف سنن الترمذي : له أيضاً . نفس المصدر .
١٠٢- ضعيف أبي داود - الأم : له أيضاً . ط. الأولى - ١٤٢٣ هـ ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت .
١٠٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ هـ) .
١٠٤- طبقات الشافعية : لأحمد بن محمد قاضي شهبة (٨٥١هـ) . تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، ط. الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، عالم الكتب ، بيروت .

١٠٥- طبقات الشافعية الكبرى : للإمام تاج الدين بن علي السبكي (٧٧١هـ) . تحقيق : د . محمود محمد الطناحي ود . عبد الفتاح محمد الحلو ، ط. الثانية ،١٤١٣هـ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠٦- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية : لنجم الدين بن حفص النسفي (٥٣٧ هـ) ، ط. الأولى ، ١٤٠٦هـ ، دار القلم بيروت ، لبنان .

١٠٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : لبدر الدين محمود العيني الحنفي(٨٥٥ هـ) . مصدر الكتاب : ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث .

١٠٨- فتاوى اللجنة الدائمة . للبحوث العلمية والإفتاء . جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش .

١٠٩- الفتاوى الكبرى : لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ) . تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٠- فتاوى نور على الدرب : لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط. الأولى ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الخيرية .

١١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) . دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

١١٢- فضائل مكة وحرمة البيت الحرام : للدكتور: عاتق بن غيث البلادي (١٤٣١هـ) ، ط. الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

١١٣- فضل ماء زمزم : سائد بكداش . ط. الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة .

١١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير : لزين الدين عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ) ، ط. الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
١١٥ - القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧ هـ) .
١١٦- القول السديد شرح كتاب التوحيد : للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) ، ط. ، الثانية ، ١٤٢١هـ ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .
١١٧- كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) . تحقيق : د . مهدي المخزومي ود . إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
١١٨- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) . تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية .
١١٩- كفاية المتحفظ في اللغة : لإبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي (نحو ٤٧٠هـ) . تحقيق : السائح علي حسين ، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة ، طرابلس ، الجماهيرية الليبية .
١٢٠- لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن منظور المصري (٧١١هـ) ، ط. الأولى ، دار صادر ، بيروت .
١٢١- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن : لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي(٥٩٧هـ) . تحقيق : د . مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط. الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار الحديث ، القاهرة .
١٢٢- المجالسة وجواهر العلم : لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري(٣٣٣هـ) . تحقيق : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ١٤١٩هـ ، جمعية التربية الإسلامية ، البحرين ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

١٢٣- المجتبى من السنن : للإمام أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط. الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب .
١٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين الهيثمي (٨٠٧هـ) . بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر ، ط. ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، دار الفكر ، بيروت .
١٢٥- المجموع شرح المهذب : لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) . والمهذب للشيرازي (٤٧٦ هـ) .
١٢٦- مجموع الفتاوى : لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ) . تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار ، ط. الثالثة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، دار الوفاء .
١٢٧- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (١٤٢٠هـ) ، أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر .
١٢٨- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين : للعلامة محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) . تحقيق : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، ط. ١٤١٣ هـ ، دار الوطن ، دار الثريا .
١٢٩- المحرر الوجيز : للإمام عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ) . [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]
١٣٠- المحكم والمحيط الأعظم : لابن سيده المرسي (٤٥٨هـ) . تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣١- المحمل والحج : ليوسف أحمد . مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
١٣٢- المحيط في اللغة : للصاحب ابن عباد (٣٨٥هـ) . تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط. الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
١٣٣- مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٦هـ) . تحقيق : محمود خاطر ، ط. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت .
١٣٤- مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : للشيخ الألباني ، ط. الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
١٣٥- المخصص : لابن سيده (٤٥٨هـ) . تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، ط. الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٣٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لابن القيم الجوزية (٧٥١هـ) . تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط. الثانية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٣٧- المستدرك على الصحيحين : لأبي عبد الله الحاكم (٤٠٥ هـ) . ط.الأولى ، ١٤٢٧ هـ .
١٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) . مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
١٣٩- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار) : لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار (٢٩٢ هـ) . تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، وعادل بن سعد ، وصبري عبد الخالق الشافعي ، ط. الأولى ، ٢٠٠٩م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

١٤٠- مسند الطيالسي : لسليمان بن داود أبي داود الطيالسي (٢٠٤هـ) . أرقام هذه النشرة تتفق مع طبعة دار هجر ، مصر .

١٤١- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم : لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ) . تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، ط. الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٤٢- مسند أبي يعلى : لأحمد بن علي أبي يعلى الموصلي (٣٠٧هـ) . تحقيق : حسين سليم أسد ، ط. الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، دار المأمون للتراث ، دمشق .

١٤٣- مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (٧٤١هـ) . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٤٤- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : لأحمد بن أبي بكر الكناني (٨٤٠ هـ) . تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي ، ١٤٠٣هـ ، دار العربية ، بيروت .

١٤٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد الفيومي (نحو ٧٧٠هـ) .

١٤٦- مصنف ابن أبي شيبة : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ) . تحقيق : محمد عوامة ، رقما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة ، وترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة .

١٤٧- مصنف عبد الرزاق : لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. الثانية ، ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
١٤٨- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : لأحمد ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) . تحقيق : (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود ، تنسيق : د . سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري ، ط.الأولى ، ١٤١٩هـ ، دار العاصمة ، دار الغيث ، السعودية .
١٤٩- المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) . تحقيق : طارق بن عوض الله الحسيني ، ١٤١٥هـ ، دار الحرمين ، القاهرة .
١٥٠- معجم البلدان : لياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) . دار الفكر ، بيروت .
١٥١- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين : لأعضاء ملتقى أهل الحديث [الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة ولا يوجد مطبوع]
١٥٢- المعجم الكبير : لسليمان بن أحمد أبي القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) .
١٥٣- معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الفكر .
١٥٤- معجم ابن المقرئ : لمحمد بن إبراهيم الأصبهاني ابن المقرئ (٣٨١ هـ) .
١٥٥- المعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى وآخرين . تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة .

١٥٦- معرفة السنن والآثار : لأحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) . تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط. الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م ، جامعة الدراسات الإسلامية + دار الوعي + دار قتيبة ، كراتشي بباكستان + حلب + دمشق .

١٥٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: للحافظ أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦هـ).

١٥٨- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : لعبد الرحمن السَّخاوي (٩٠٢ هـ) . دار الكتاب العربي .

١٥٩- مكة المكرمة فضائل وأحكام : ليوسف بن ردة آل عبد المحسن الحسني . مكة المكرمة ، ١٤٢٨هـ .

١٦٠- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم : لعلي السنجاري (١١٢٥هـ) . تحقيق : د . جميل عبد الله المصري ، ط. الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

١٦١- مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف وسرد ما ألحق الناس بها من البدع : لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة ، ١٣٩٧هـ ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن .

١٦٢- المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٤٩هـ) . أرقام هذه النشرة تتفق مع طبعة عالم الكتب .

١٦٣- المنتقى شرح الموطأ : لسليمان بن خلف الباجي (٤٧٤هـ) .

١٦٤- المنتقى من فتاوى الفوزان : للشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

١٦٥- منهاج السنة النبوية : لشيخ الإسلام بن تيمية (٧٢٨هـ) . تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ط. الأولى ، مؤسسة قرطبة .
١٦٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا النووي (٦٧٦هـ) ، ط. الثانية ، ١٣٩٢هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٦٧- موقع بوابة الحرمين الشريفين (الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي)
١٦٨- موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) .
١٦٩- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : لعدد من المختصين بإشراف الدكتور : صالح بن عبد الله بن حميد ، ط. الرابعة ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة .
١٧٠- النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، المكتبة العلمية ، بيروت .
١٧١- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج : لمحمد بن أبي العباس الرملي (١٠٠٤هـ) . [هو شرح متن منهاج الطالبين للنووي ٦٧٦ هـ]
١٧٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأحمد بن محمد ابن خلكان (٦٨١هـ) . تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

فهرس الموضوعات